فيض الخالق
فى تفسير سورة الطارق

إعداد
دكتور/ مصطفى شعبان البسيونى مسعد
مدرس التفسير وعلوم القرآن
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله بديع الأرض والسماوات ، دلت على قدرته أعظم الآيات ، وتجلت حكمته فى أسمى التشريعات، واتصف بأقدس الصفات فتنزه عن الصاحبة والولد ومماثلة المخلوقات، والصلاة والسلام على من كمل به صرح الرسالات ، وأضاء بنوره حوالك الظلمات ، وشفيعنا يوم البعث بعد الممات ، وعلى آله وأزواجه الطاهرات ، وأصحابه وتابعيهم بإحسان إلى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات،

وبعد

فإن أحق ما تستفرغ فيه الطاقات ، ويقضى فى طلبه الأوقات تفسير آيات الله البينات ، والوقوف على ما حوته من أسرار ودلالات ، وأحكام وعظات ، وإعجاز يبهر العقل ويأخذ بتلابيبك ويستحوذ على ذاتك ، ومن هذه الآيات موضوع دراستى هذه تفسير سورة الطارق ،والتى تحقق فيها جملة هذه الأهداف ، فهيا بنا نحلق فى سماء الإعجاز البيانى والعلمى على متن هذه السورة الكريمة ، ونعانق الثريا بالوقوف على ما حوته من نكات بلاغية، ودقائق لغوية، ودلالات تفسيرية، وحقائق علمية انطوت عليها آياتها ، ولم يكشف اللثام عنها إلا فى العقود المتأخرة بواسطة العلم الحديث وبعد البحث والتمحيص بالوسائل العلمية الحديثة بما لا يدع مجالا للشك من علماء الفلك والجيولوجيا - علم طبقات الأرض - أثبتوا أن ما حوته هذه السورة من كنوز الإعجاز العلمى ونطقت به آياتها مذ أربعة عشر قرنا هو حقيقة علمية لا يمارى فى ثبوتها إلا من صم أذنيه وأغمض عينيه عن السماع والنظر فى آيات الله القرآنية والكونية قال تعالى :(**إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٨٠) وَمَا أَنْتَ بِهَادِي**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ)- ٨٠،٨١ **النمل**- ولإلقاء الضوء على بعض ما حوته هذه السورة من دلائل الإعجاز بمختلف أنواعه آثرت أن يكون موضوع دراستى هذه عن تفسير سورة الطارق وسميته " فيض الخالق فى تفسير سورة الطارق" وقسمته إلى مقدمة،و تمهيد- بين يدى السورة - ، وثلاثة مباحث وهى التالية:

المبحث الأول : القسم على أن لكل نفس حفظة من الملائكة.

المبحث الثانى :الاستدلال بالمبدأ على المعاد : ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : النشأة الأولى للإنسان.

المطلب الثانى :أحوال العباد يوم المعاد.

المبحث الثالث : القسم على صدق القرآن والكيد للكافرين بإمهالهم واستدراجهم.

الخاتمة.

وقد سلكت فى بحثى هذا الخطوات المنهجية التالية:

١- ذكر عدد من الآيات التى تندرج تحت وحدة موضوعية.

٢- ذكر أوجه المناسابات بين آيات السورة الكريمة.

٣- ذكر معانى المفردات مع ما يصاحبها من بيان الأصل اللغوى والاشتقاق الصرفى.

٤- إعراب الآيات إعرابا مفصلا يعين على تفسير الآيات إذ الإعراب فرع المعنى - كما هو معلوم- عند أهل الفن وغيرهم.

٥- ذكر الصور البلاغية مع توضيحها والوقوف على أسرار الجمال والإعجاز فيها.

٦- ذكر القراءات الواردة فىالآية مع التوجيه اللغوى لها وتوثيقها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من الكتب المعتمدة عند أهل الفن.

٧- ذكر المعنى الإجمالى للآيات.

٨- الشرح والتحليل، وما يتضمنه من الوقوف على النكات اللغوية واللطائف التفسيرية ،وبيان الوجوه والنظائر لبعض ألفاظ السورة الكريمة ، والوقوف على ما حوته من كنوز الإعجاز البيانى والعلمى بقدر الطاقة البشرية.

أسأل المولى جل ذكره أن ييسر لى سبيل الرشد والسداد و أن يجنبنى الزيغ والضلال

"وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (٨٨هود)

راجى عفو ربه

د/ مصطفى شعبان البسيونى مسعد

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بين يدى السورة المباركة

التعريف بالسورة من المهمات التى يحتاج إليها القارئ ؛ لتعينه على تدبر معانيها والوقوف على محتواها ؛ لذا كان لزاما على من يقدم على تفسير سور القرآن أن يمهد لكل سورة بما تنفرد به عن غيرها ببيان خصائصها المميزة لها – وجه تسميتها ، زمن ومكان نزولها ، صلتها بما قبلها وما بعدها ، وسبب نزولها ، والمقاصد العامة التى دعت إليها– واتباعا لهذا المنهج ،والسير على درب السابقين قمت بالتوطئة لتفسير هذه السورة بذكر ما تقدم على النحو التالى:

وجه تسمية السورة:

سورة الطارق من السور القرآنية ذات الاسم الواحد [1]، فلم يعرف لها اسم سواه ووجه تسميتها به : ما جاء فى مطلعها بالقسم به قال تعالى: **وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣)** **الطارق** ومعلوم أن أسماء السور توقيفية.

أ- عدد آياتها وكلماتها وحروفها وترتيبها:

آياتها : سبع عشرة آية .

كلماتها : احدى وستون كلمة .

حروفها : مائتان وتسعة وثلاثون حرفا.[2]

---

١ – قد يكون للسورة اسم واحد – ومنه هذه السورة- وهو كثير ، وقد يكون لها اسمان كسورة البقرة يقال لها فسطاط القرآن لعظمها وبهائها، وقد يكون لها ثلاثة أسماء كسورة المائدة والعقود والمنقذة، وقد يكون لها أكثر من ذلك كسورة التوبة وبراءة والفاضحة والحافرة ، وسورة الفاتحة ذكر بضعة وعشرون اسما لها انظر البرهان فى علوم القرآن ٢٦٩/١ ط دار إحياء الكتب العربية الأولىسنة١٩٥٧م بتصرف.

٢- همیان الزاد إلى دار المعاد محمد بن يوسف أطفيش ٢٤٣/١٥ط وزارة التراث القومى والثقافة سلطنة عمان .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ترتيبها : سورة الطارق باعتبار زمن نزولها : الخامسة والثلاثون من سور القرآن الكريم نزلت بعد البلد وقبل القمر، وباعتبار ترتيب المصحف هى السادسة والثمانون من سور القرآن الكريم.[١]

ج- أين ومتى نزلت السورة:

نزلت سورة الطارق بأكملها فى مكة قبل الهجرة.[٢]

والدليل على ذلك ما أخرجه أحمد فى مسنده والبخارى فى تاريخه والطبرانى فى معجمه الكبير عن خالد العدوانى أنه أبصر رسول الله صلى الله عليه وسلم في مُشرّق ثَقيف [٣] وهو قائم على قوس-أو: عصا-حين أتاهم يبتغي عندهم النصر، فسمعته يقول: " وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ " حتى ختمها-قال: فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك، ثم قرأتها في الإسلام-قال: فدعتني ثقيف فقالوا: ماذا سمعت من هذا الرجل؟ فقرأتها عليهم، فقال من معهم من قريش: نحن أعلم بصاحبنا، لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه[٤].

---

١ -الإتقان فى علوم القرآن١٣/١ط دار عالم المعرفة

٢ -انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى١/٢٠طدار إحياء التراث العربى سنة١٩٨٥م ، ومعالم التنزيل للبغوى ٣٩١/٨ط دار طيبة للنشر والتوزيع ١٩٩٧م الطبعة الرابعة.وتفسير القرآن العظيم لابن كثير٤٩٨/٤ط دار الحديث.

٣ - مشرق ثقيف أى سوق ثقيف انظر النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير٤٦٤/٢ ط المكتبة العلمية

٤ - مسند أحمد ٣٣٥/٤ط مؤسسة قرطبة والمعجم الكبير للطبرانى١٩٧/٤ط مكتبة الزهراء الموصل الطبعة الثانية سنة١٩٨٣ م والتاريخ الكبير للبخارى ١٣٨/٣ط دار الفكر وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد فقال رواه أحمد والطبرانى وعبد الرحمن ذكره ابن أبى حاتم ولم يجرحه أحد وبقية رجاله ثقات مجمع الزوائد ١٣٦/٧ط دار الكتاب العربى بيروت سنة ١٤٠٧ه والدر المنثور فى التفسير بالمأثور٣٤٧/١٥تحقيق د/ عبد الله عبد المحسن التركى بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراسات العربية والإسلامية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وأخرج ابن الضريس وابن مردوية والبيهقى عن ابن عباس قال: نزلت بمكة.[1]

د- ما روى فى شأنها من أحاديث ترغب فى استحباب الصلاة بها:

١-عن جابر بن عبد الله ، قال : كان معاذ بن جبل يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يرجع إلى قومه فيؤمهم ، قال : فأخر النبي صلى الله عليه وسلم العشاء ذات ليلة فصلى معه معاذ بن جبل ، ثم رجع إلينا فتقدم ليؤمنا ، فافتتح سورة البقرة ، فلما رأى ذلك رجل من القوم تنحى فصلى وحده ، ثم انصرف ، فقلنا له : ما لك يا فلان ، أنافقت ؟ قال : ما نافقت ، ولآتين النبي صلى الله عليه وسلم فلأخبرنه ، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إن معاذا يصلي معك ، ثم يرجع فيؤمنا ، وإنك أخرت العشاء البارحة فصلى معك ، ثم رجع إلينا فتقدم ليؤمنا ، فافتتح سورة البقرة ، فلما رأيت ذلك تنحيت فصليت وحدي ، أي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنما نحن أصحاب نواضح ، وإنما نعمل بأيدينا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أفتان أنت يا معاذ ؟ أفتان أنت يا معاذ ؟ اقرأ بسورة كذا وسورة كذا » قال عمرو : « وأمره بسور قصار » لا أحفظها ، قال سفيان : فقلنا لعمرو بن دينار : إن أبا الزبير قال لهم : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « اقرأ بالسماء والطارق ، والسماء ذات البروج ، والشمس وضحاها ، والليل إذا يغشى » ، قال عمرو نحو هذا[2].

---

١ الدر المنثور ٣٤٧/١٥

٢ -السنن الكبرى للبيهقى كتاب جماع أبواب موقف الإمام والمأموم باب خروج الرجل من صلاة الإمام ١١٢/٣ط دار الفكر.

وصحيح ابن حبان باب ذكر الإباحة للمرء أن يؤدى فرضه جماعة ثم يوم الناس بتلك الصلاة ١٦٠/٦ط مؤسسة الرسالة وصحيح ابن خزيمة كتاب الإمامة فى الصلاة وما فيها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢- وأخرج الترمذى والنسائى فى سننيهما و أحمد فى مسنده عن جابر بن سمرة أن رسول الله ﷺ كان يقر أ فى الظهر والعصر بالسماء ذات البروج والسماء والطارق وشبههما.[١]

٣- وأخرج الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كان يقرأ فى العشاء الآخرة بالسماء يعنى ذات البروج والسماء والطارق.[٢]

٤- عن جابر بن سمرة السوائي ، قال : من حدثك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخطب جالسا على المنبر فكذبه ، فأنا شهدته « كان يخطب قائما ، ثم يجلس ، ثم يقوم فيخطب خطبة أخرى » . قال : قلت : كيف كانت خطبته ؟ قال : « كلام يعظ به الناس ، ويقرأ آيات من كتاب الله ثم ينزل ، وكانت قصدا (١) - يعني خطبته - وكانت صلاته قصدا بنحو الشمس وضحاها ، والسماء والطارق ، إلا صلاة الغداة (٢) ، وصلاة الظهر كان يؤذن بلال حيث تدحض الشمس ، فإن جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام وإلا سكت حتى يخرج ، والعصر نحوا مما تصلون ، والمغرب نحوا مما تصلون ، والعشاء الآخرة يؤخرها عن صلاتكم قليلا » « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذه السياقة إنما خرج لفظتين مختصرتين من حديث أبي الأحوص ، عن سماك

من السنن باب الرخصة فى خروج المأموم للحاجة تبدو له من أمور الدنيا إذا طول الصلاة٣/٥١ط المكتب الإسلامى ١٩٧٠م

١ -سنن الترمذى كتاب أبواب الصلاة باب ما جاء فى القراءة فى الظهر والعصر٢/١١١ قال أبو عيسى حسن صحيح ط دار إحياء التراث العربى وسنن النسائى الكبرى كتاب صفة الصلاة باب القراءة فى الركعتين الأولين من صلاة العصر ١/٣٣٧ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى سنة١٩٩١م ومسند أحمد٥/١٠٨

٢ - مسند أحمد٢/٣٢٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

: » كان يخطب خطبتين بينهما جلسة ، وكانت صلاته قصدا[1]

ه- ما ورد فى سبب نزولها من روايات :

روى أبو صالح عن ابن عباس – رضى الله عنهما – كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قاعدا مع أبى طالب فانحط نجم فامتلأت الأرض نورا ففزع أبوطالب وقال أى شئ هذا فقال نجم رمى به وهو آية من آيات الله فعجب أبوطالب ونزل والسماء والطارق[2]

وذكر البغوى فى معالم التنزيل عن الكلبى ، والواحدى فى أسباب النزول بدون إسناد " والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب " نزلت فى أبى طالب ، وذلك أنه أتى النبى – صلى الله عليه وسلم- بخبز ولبن ، فبينما هو جالس إذ انحط نجم فامتلأ ماء ثم نار ، ففزع أبو طالب وقال أى شئ هذا ؟ فقال : نجم رمى به وهو آية من آيات الله فعجب أبو طالب فأنزل الله تعالى والسماء والطارق[3]

وجه مناسبة السورة لما قبلها وما بعدها:

من الأمور التى اعتنى بها الكثير من المفسرين إبراز وجوه المناسبات بين سور القرآن وآياته ، وبيان التآخى بينها وكأنها عقد محكم متناسق الدرر واللآلئ لا يمكن تقديم أو تأخير إحداها عن موضعها فسوره

---

١ – المستدرك على الصحيحين ٤٢٣/١ط دار الكتب العلمية بيروت الأولى سنة١٩٩٠م وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه والمعجم الكبير للطبرانى ٢٥٠/٢

٢ –الجامع لأحكام القرآن ١/٢٠وتخريج الأحاديث والآثار للزيلعى وعزاه للثعلبى فى تفسيره والواحدى فى أسباب النزول ١٨٩/٤ط دار ابن خزيمة الرياض الأولى سنة١٤١٤ه

٣ أسباب النزول للواحدى ص٣٨٩ط دار الحديث القاهرة الطبعة الرابعة سنة١٩٨٨م تحقيق أيمن صالح شعبان قال الحافظ ابن حجر فى الكافى الشاف ذكره الثعلبى والواحدى بدون إسناد انظر الكافى الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف ص١٨٣ ط دار المعرفة بيروت وانظر معالم التنزيل٣٩١/٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وآياته فى غاية الإحكام والانسجام .

والقارئ المتدبر لكتاب الله يقف على كثير من وجوه المناسبات بين سوره وآياته ، وسورة الطارق كنظائرها من السور متصلة تمام الصلة بما قبلها وما بعدها ويتضح ذلك فى الآتى:

أ- مناسبة السورة لما قبلها:

بين سورتى الطارق والبروج ارتباط وثيق تظهر معالمه فى الأمور التالية:

١- استهلال السورتين بالقسم بالسماء لما لها من الشرف والمجد وما تدل عليه من بدائع الصنعة ودلائل القدرة الدالة على توحيده تعالى.

٢- التشابه فى الكلام عن البعث والمعاد وعن صفة القرآن للرد على المشركين المكذبين به وبالبعث ، ففى سورة البروج (إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ)- البروج١٣-وفى هذه السورة(إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (الطارق٨)، وفى السورة السابقة (بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ (٢١) فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ (البروج٢٢) وفى هذه السورة(إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)[١]

٣- لما تقدم فى آخر البروج أن القرآن فى لوح محفوظ لأن منزله محيط بالجنود المعاندين،وبكل شئ أخبر أن من إحاطته حفظ كل فرد من جميع الخلائق المخالفين والموافقين المؤلفين ليجازى على أعماله يوم إحقاق الحقائق وقطع العلائق فقال مقسما على ذلك لإنكارهم والسماء أى ذات الأنجم الموضوعة لحفظها من المردة لأجل حفظ القرآن المجيد[٢]

---

١ - التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج د/ وهبه الزحيلى ١٧٥/٣٠ط دار الفكر المعاصر بيروت.

٢ - نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى٣٧٠/٢١ وما بعدها ط دار الكتاب الإسلامى

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ب - وجه اتصال السورة بما بعدها:

١- تظهر الصلة فى أن سورة الطارق ذكر خلق الإنسان فى قوله تعالى " خلق من ماء دافق" وبدء خلق النبات فى قوله "والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع" وسورة الأعلى تحدثت بما هو أعم وأشمل من خلق الإنسان وغيره" الذى خلق فسوى" وعن خلق النبات فى قوله " والذى أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى"[١]

٢- لما تضمن أمره فى آخر الطارق بالإمهال والنهى عن الاستعجال الذى هو منزه عنه لكونه نقصا وأشار نفي الهزل عن القرآن إلى أنهم وصموه بذلك وهو في غاية البعد عنه إلى غير ذلك مما أشير إليه فيها ونزه نفسه الأقدس سبحانه عنه ، أمر أكمل خلقة رسوله المنزل عليه هذا القرآن صلى الله عليه وسلم بتنزيه اسمه لأنه وحده العالم بذلك حق علمه ، وإذا نزه اسمه عن أن يدعو به وثنا أو غيره أو يضعه في غير ما يليق به ، كان لذاته سبحانه أشد تنزيهاً[٢]

قلت وقد ظهر لى وجه آخر وهو : تحدثت سورة الطارق عن الآيات الكونية الدالة على قدرة البارى جل وعلا،وهذه القدرة لا تتأتى إلا لمن له الكمال المطلق والمنزه عن النقائص ، فجاءت سورة الأعلى بالأمر بالتسبيح الذى هو تنزيهه تعالى عن كل ما لا يليق به فى ذاته وصفاته و أسمائه وأفعاله ، ووصفه بصفات التعظيم والتمجيد لخلقه المخلوقات على هذا النحو من الإحكام وبدائع الصنعة صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (النمل٨٨) فسورة الأعلى متصلة بسورة الطارق اتصال المسبب بالسبب والنتائج بالمقدمات والله أعلم .

---

١ - التفسير المنير ١٨٦/٣٠

٢ - نظم الدرر ٣٨٨/٢١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقاصد العامة التى تدعو إليها السورة الكريمة:

إن المقصد الأسمى والهدف الرئيس من هذه السورة كغيرها من السور المكية هو ترسيخ دعائم العقيدة فى القلوب من الإيمان بالبعث والمعاد والحساب ، وإقامة الأدلة المادية عليها ،" وبيان مجد القرآن فى صدقه فى الأخبار بتنعم أهل الإيمان وتعذيب أهل الكفران فى يوم القيامة حين تبلى السرائر وتكشف الضمائر عن مثقال الذر وما دون المثقال مما دونته الحفظة الكرام فى صحائف الأعمال بعد استيفاء الآجال كما قدر فى الأزل من غير استعجال ولا تأخير عن الوقت المضروب ولا إمهال"[1] وإليك ما يتفرع عن هذا المقصد من أهداف:

أ-افتتحت السورة بالقسم بالسماء هذا السقف المحفوظ بعناية الله الدال على بديع صنعه وكمال قدرته ، وأقسم بأعجب ما فيها وهو جنس النجوم المضيئة والمعدة للحراسة على أن لكل إنسان حافظا من الملائكة "الآيات ١:٤"

ب- إقامة الأدلة على إمكان البعث والقدرة عليه بعد الموت بخلق الإنسان من ماء مهراق يخرج من بين صلب الرجل وترائب المرأة ، وهو على رجعه لقادر لأن الإعادة أهون عليه من النشأة الأولى "وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (الروم٢٧)

ومصداق ذلك فى سورة الطارق"الآيات ٥ : ٨"

ج- بيان حال الإنسان فى الآخرة حينما تكشف الأسرار وتنتهك الأستار ويقف فى ساحة العدالة الإلهية ولا يجد معينا من نفسه ولا ناصرا من عشيرته "الآيات ٩:١٠"

د- القسم الإلهى بالسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع على

---

١ -نظم الدرر ٢١/٣٧٠بتصرف يسير فى العبارة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

صدق القرآن ، وأنه القول الفصل الفارق بين الحق والباطل ، وأن إمهال الكافرين وعدم التعجيل بالعقوبة هو من قبيل الكيد والاستدراج لهم : الآيات ١١:٧ " .

وبعد التعريف بهذه السورة الكريمة والوقوف على مقاصدها آن الوقت للولوج فى هذه الدوحة الغناء نقتطف من ثمارها ، ونستنشق عبيرها ونتلمس معانيها ونقف على دقائقها بقدر الاستطاعة البشرية راجين من المولى التوفيق والسداد فهو نعم المولى ونعم النصير.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول

القسم على أن لكل نفس حفظة من الملائكة

قال تعالى: (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤))

* * * * * *

معانى المفردات:

" السماء" كل ما علاك فأظلك

"الطارق" السالك للطريق لكن خص فى التعارف بالآتى ليلا...قال الراغب : وعبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل .

"وما أدراك " وما أعلمك .

"الثاقب" الذى يثقب بنوره وإصابته ما يقع عليه.

"حافظ" حارس يحرسها من الآفات والمراد الحفظة من الملائكة.[١]

* * *

الاشتقاق الصرفى و الأصل اللغوى للمفردات:

" السماء" سما الرجل يسمو سموا إذا علا وارتفع فهو سام ....وسماء كل شئ أعلاه[٢]

"الطارق" يقال طرق فلان إذا جاء بليل وقد طرق يطرق طروقا فهو طارق ، فلفظ الطارق هو فى الأصل اسم فاعل من الطرق بمعنى الضرب بوقع وشدة يسمع لها صوت ، ومنه المطرقة والطريق لأن السابلة تطرقها

---

١ -انظر المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ص ٧٩ ،ص٣٠٣ ط دار المعرفة والتفسير المنير ١٧٥/٣٠ولسان العرب ٢٣٩/١ ، ٢١٥/١٠ط دار صادر بتصرف

٢ -جمهرة اللغة لابن دريد٨٦٢/٢ط دار العلم للملايين الأولى سنة١٩٨٧م والمصباح المنير ٢٩٠/١ط المكتبة العلمية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

، ثم صار فى عرف اللغة اسما لسالك الطريق لتصور أنها يطرقها بقدمه ، واشتهر حتى صار حقيقة ، ثم اختص بالآتى ليلا لأنه فى الأكثر يجد الأبواب مغلقة فيطرقها ، ثم اتسع فى كل ما يظهر بالليل كائنا ما كان حتى الصور الخيالية البادية والعرب تصفها بالطروق كما فى قول الشاعر:

طَرَقَ الْخَيالُ ولا كَلَيْلَةِ مُدْلِجٍ * * * سَدِكاً بأرْحُلِنا ولم يَتَعَرَّجِ[1]

" أدراك" الدراية المعرفة المدركة بضرب من الختل[2] يقال دريته ودريت به نحو فطنت وسعرت وادريت[3]

" الثاقب" يقال ثقب يثقب ثقوبا وثقابة إذا أضاء ومنه شهاب ثاقب مضئ والعرب تقول أثقب نارك أى أضئها قال الشاعر:

أذاعَ به في الناس حتى كأنّه ... بعَلْياءَ نارٌ أوقِدَت بثُقُوبِ[4]

والعرب تسمى كل قاصد فى الليل طارق ومنه قول امرئ القيس:

فمثلُك حُبْلى قد طَرَقْتُ ومُرْضِعٍ ... فَأَلْهَيْتُها عن ذي تَمائمَ مُحولِ[5]

وقال : أَلَم تَرَياني كلَّما جئتُ طارقاً ..... وجدتُ بها طِيباً وإن لم تَطَيَّب[6]

---

١ -تفسير روح المعانى للألوسى٣٠/٩٤ط دار إحياء التراث العربى والبيت للحارث بن حلزة اليشكرى انظر ديوان المفضليات لأبى العباس المفضل الضبى ص٥١٥ ط مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت١٩٢٠

٢ - الختل : الخداع انظر لسان العرب ١١/١٩٩ ط دار صادر

٣ - المفردات ص١٦٨

٤ - البيت ذكره صاحب اللسان٨/٩٨بدون نسبة لقائله

٥ - ذو تمائم محول أى طفل لها رضيع له حول ومعنى البيت يقول لها منفقا نفسه عندها إن الحامل والمرضع لا تكادان ترغبان فى الرجال وهما يرغبان فى لجمالى ومزايا ، والشاهد فى قوله قدطرقت أى جاءته ليلا انظر ديوان امرئ القيس ص١١٣ط دار الكتب العلمية الطبعة الخامسة سنة٢٠٠٤م

٦ - الطارق الذى يأتى ليلا يريد أنه وجدها طيبة ريح الجسد من غير طيب والشاهد فى قوله كلما جئت طارقا أى ليلا . ديوان امرئ القيس ص٢٩

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ولابن الرومى :

يا راقدَ اللّيل مسروراً بأوّله ... إنّ الحوادث قد يطْرُقن أسحاراً[١]

قال الماوردى : وأصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة فسمى قاصد الليل طارقا لا حتياجه فى الوصول إلى الدق[٢] وقال قوم : إنه قد يكون نهارا والعرب تقول : اتيتك طرقتين أى مرتين، ومنه قوله – صلى الله عليه وسلم" **ومن شر طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن**"[٣]

وقال جرير فى الطروق:

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ... حين الزيارة فارجعي بسلام[٤]

* * *

الإعراب :

"والسماء والطارق" الواو حرف قسم وجر، والسماء مجرور بواو القسم متعلقان بفعل القسم المقدر "أقسم"، والطارق قسم أيضا معطوف على ما قبله.

"وما أدراك" الواو حرف عطف ، وما اسم استفهام مبتدأ وجملة أدراك

---

١ -لم أعثر على البيت فى ديوان ابن الرومى وقد أورده الجاحظ فى كتاب الحيوان ٥٨/٦ط الحلبى غير منسوب

٢ -تفسير النكت والعيون للماوردى٢٤٧/٦طدار الكتب العلمية.

٣ السنن الكبرى للنسائى كتاب عمل اليوم والليلة باب ذكر ما يكب العفريت ويطفئ شعلته٢٣٧/٦ط دار الكتب العلمية والحديث صححه الألبانى انظر السلسلة الصحيحة للألبانى٤٩٤/٦ ط مكتبة المعارف الرياض

٤ -ديوان جرير ص٤٥٢ط دار بيروت للطباعة والنشر سنة١٩٨٠م وقد نقدته سكينة بنت الحسين إذ قالت لراوية جرير قبح الله صاحبك وقبح شعره وأى وقت أشهى من الطروق وانظر تفسير القرطبى٣/٢٠ وإعراب القرآن وبيانه محى الدين درويش ٤٣٩/١٠ط دار اليمامة دمشق -بيروت الطبعة السادسة سنة١٩٩٩م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

خبرها.

" ما الطارق" ما اسم استفهام والطارق خبرها ، والجملة المعلقة[1] سدت مسد مفعول أدراك الثانى

"النجم" بدل من الطارق ، أو خبر لمبتدأ محذوف كأنه جواب للاستفهام الوارد قبله تفخيما .

"إن كل نفس لما عليها حافظ" جملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب القسم وما بين القسم وجوابه اعتراض[2] وسيأتى إعرابها مفصلا فى الحديث عن توجيه القراءتين.

* * *

الصور البلاغية:

تضمنت الآيات الكريمات صورا جمالية من علوم البلاغة "البيان والمعانى والبديع" بلغت الذروة فى الجمال والذوق الفنى وهى:

أ- فى قوله "والسماء والطارق إلى قوله إن كل نفس لما عليها حافظ" فن الممثالة وهو تماثل ألفاظ الكلام كلها أو بعضها فى الزنة دون التقفية فبين الطارق والثاقب حافظ ممثالة فى الزنة دون التقفية .[3]

فى قوله تعالى "وما أدراك" استفهام للتفخيم والتعظيم ورفعة الشأن[4]

---

١ - التعليق : عبارة عن إبطال عمل ظن وأخواتها لفظا لا محلا لاعتراض ماله صدر الكلام بينها وبين معموليها ، والمراد بما له صدر الكلام النفى والاستفهام والقسم بخلاف الإلغاء الذى هو عبارة عن إبطال عملها فى اللفظ والمحل لتوسطها بين المفعولين أوتأخرها عنهما.انظر شرح قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ص١٧٣: ١٧٦ط الشركة العربية المتحدة للتوزيع القاهرة الحادية عشر سنة١٣٨٣ه تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد

٢ -انظر إعراب القرآن وبيانه محى الدين درويش ١٠/٤٤٣

٣ - السابق ١٠/٤٤٦

٤ -التفسير المنير ٣٠/١٧٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ج - فى قوله تعالى" النجم الثاقب" فصل ، وسياق الكلام يقتضى الوصل لأنه قصد إشراكهما فى الحكم واتفقا فيه ، وإنما عدل عنه تفخيما لشأنه فأقسم أولا بما يشترك فيه هو وغيره ثم فسره بالنجم إزالة لذلك الإبهام الحاصل بالاستفهام.[1]

د -فى قوله "الثاقب" استعارة مكنية ؛لأن حقيقة الثقب خرق شئ ملتئم ، وهو هنا مستعار لظهور النور فى خلال ظلمة الليل . شبه النجم بمسمار أو نحوه وظهور ضوئه بظهور ما يبدو من المسمار من خلال الجسم الذى يثقبه مثل لوح أو ثوب ثم حذف المشبه وأدلى إليه بشئ من لوازمه وهو الثاقب.

قال العلامة ابن عاشور -رحمه الله- : وأحسب أن استعارة الثقب لبروز شعاع النجم فى ظلمة الليل من مبتكرات القرآن الكريم ، ولم يرد فى كلام العرب قبل القرآن ، وقد سبق قوله "فأتبعه شهاب ثاقب"[2] -الصافات١٠- .

ه - فى قوله تعالى " إن كل نفس لما عليها حافظ" كناية تلويحية رمزية عن المقصود وهو إثبات البعث، فهو كالدليل على إثباته ، فإن إقامة الحافظ تستلزم شيئا يحفظه وهو الأعمال خيرها وشرها ، وذلك يستلزم إرادة المحاسبة عليها والجزاء بما تقتضيه جزاء مؤخرا بعد الحياة الدنيا لئلا تذهب أعمال العملين سدى ، وذلك يستلزم أن الجزاء مؤخر إلى ما بعد هذه الحياة إذ المشاهد تخلف الجزاء فى هذه الحياة بكثرة، فلو أهمل الجزاء لكان إهماله منافيا لحكمة الإله الحكيم مبدع هذا الكون كما قال : أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ -المؤمنون١١٥- وهذا الجزاء المؤخر

---

١ -إعراب القرآن وبيانه١٠/٤٤٦

٢ - التحرير والتنوير لابن عاشور٣٠/٢٥٩ط الدار التونسية للنشر سنة١٩٨٤م بتصرف يسير فى العبارة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يستلزم إعادة حياة الذوات الصادرة منها الأعمال فهذه لوازم أربعة بها كانت الكناية تلويحية رمزية.[1]

* * * *

القراءات وتوجيهها :

فى قوله "لما" قراءتان : إحداهما : قراءة ابن كثير وأبى عمرو ونافع والكسائى "لما" بتخفيف الميم.

الثانية : قراءة عاصم وحمزة والنخعى "لما بتشديد الميم.

وتوجيه قراءة التخفيف تكون إن مخففة من الثقيلة وكل مبتدأ واللام فارقة[2] و"عليها" خبر مقدم وحافظ مبتدأ مؤخر والجملة خبر "كل" وما مزيدة بعد اللام الفارقة .

ويجوز أن يكون عليها هو الخبر وحده وحافظ فاعل به وهو أحسن.

ويجوز أن يكون كل مبتدأ وحافظ خبر وعليها متعلق به وما مزيدة أيضا هذا كله تفريع على قول البصريين.

وقال الكوفيون : إن هنا نافية واللام بمعنى إلا إيجابا بعد النفى وما مزيدة.

و أما قراءة التشديد فإن نافية كالتى فى قوله " فيما إن مكناكم " — الأحقاف٢٦- ولما فى معنى إلا

قال أبو على الفارسى : وتستعمل لما بمعنى إلا فى موضعين أحدهما هذا.

والآخر فى باب القسم تقول سألتك بالله لما فعلت بمعنى إلا فعلت.

وروى عن الأخفش والكسائى وأبى عبيدة أنهم قالوا : لم توجد

---

١ - السابق٣٠/٢٦٠

٢ - سميت فارقة لأنها بدخولها على إن المخففة فرقت بينها وبين إن النافية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لما بمعنى إلا فى كلام العرب.

قال ابن عون : قرأت عند ابن سيرين لما بالتشديد فأنكره وقال سبحان الله ، وزعم العتبى أن لما بمعنى إلا مع إن الخفيفة التى تكون بمعنى ما موجودة فى لغة هذيل.[1] وحكى هارون أنه قرئ هنا إن بالتشديد وكل بالنصب على أنه اسمها واللام هى الداخلة فى الخبر وما مزيدة فى خبرها[2]

المعنى الإجمالى للآيات:

أقسم المولى جلت قدرته وتعالت حكمته بالسماء لما لها من الشرف والمجد تنبيها على ما حوته من بدائع الصنعة الإلهية الدالة على القدرة الباهرة والإرادة المطلقة ، وأقسم بأعجب ما فيها وهو الطارق وهو نجم عظيم الشأن دل على ذلك الاستفهام المنبئ بالتفخيم بقوله "وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ" ثم بينه بقوله "النَّجْمُ الثَّاقِبُ" أى الثاقب بضوئه ظلام الليل على أن كل نفس لما عليخا حافظ يحفظ عليها عملها أى يحصيها تصديقا لقوله تعالى مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (ق١٨) أو يحفظها من الآفات والشرور كقوله تعالى لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ -الرعد١١-.

* * * *

---

١ - قال أبو حيان لما مشددة وهى بمعنى إلا لغة مشهورة فى هذيل وغيرهم تقول العرب أقسمت عليك لما فعلت كذا أى إلا فعلت كذا قاله الأخفش .البحر المحيط٨/٤٤٩ط دار الكتب العلمية.

٢ انظر الحجة فى القراءات لأبى على الفارسى ٦/٣٩٧ وما بعدها ط دار المأمون للتراث والدر المصون للسمين الحلبى ١٠/٧٥٢طدار القلم دمشق تحقيق د/ أحمد محمد الخراط وحاشية زادة على البيضاوى ٨/٥٦٥ط دار الكتب العلمية وتفسير البحر المحيط٨/٤٤٨وما بعدها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشرح والتحليل:

قوله تعالى : " والسماء والطارق" فيه خمس مسائل:

المسألة الأولى : القسم بالسماء والطارق : الناظر المتأمل فى آيات القسم الواردة فى الكتاب العزيز يقف على دلالات غير متناهية لا تنقطع بإدامة النظر والتأمل فيها ، فالبارى جل وعلا أقسم بجميع مخلوقاته[١] المرئية سواء أكانت علوية كالقسم بالسماء[٢] وبالنجم[٣] وبالشمس[٤] ، أو أرضية كالقسم بالأرض[٥] والأماكن المقدسة[٦] ، والقسم بحياته[٧] -صلى الله عليه وسلم- ، أو غير المرئية كالملائكة والجن والروح وسائر الغيبيات التى لا نبصرها ولا نقف عليها حواسنا ، وقد جمع المولى جل ذكره هذه الأمور فى آية واحدة غاية فى الإيجاز والبيان قال تعالى : " فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (الحاقة٣٩) ، والحكمة من القسم بالمخلوقات أمران:

أ-تعظيم شأنها فهو سبحانه وتعالى يقسم بها لبيان سمو مكانتها وعظم منزلتها ، فيكون القسم من قبيل التشريف لها ، كما أقسم سبحانه وتعالى بحياة النبى – صلى الله عليه وسلم- فى قوله:" لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ

---

١ – البارى سبحانه يقسم بما شاء من مخلوقاته ، أما غيره فليس له أن يقسم إلا بأسمائه الحسنى وصفاته العليا قال -صلى الله عليه وسلم – من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت " وقال : من حلف بغير الله فقد أشرك"

٢ – كقوله تعالى " والسماء ذات البروج " وقوله والسماء والطارق إلى غير ذلك من آيات .

٣ -قال تعالى والنجم إذا هوى" وقال جل ذكره " فلا أقسم بمواقع النجوم"

٤ – قال تعالى "والشمس وضحاها"

٥ – قال تعالى " والأرض ذات الصدع "

٦ – قال تعالى " لا أقسم بهذا البلد " وقال " والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين"

٧ --قال تعالى " لعمرك إنهم لفى سكرتهم يعمهون"

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يَعْمَهُونَ (٧٢الحجر)

"قال ابن عباس- رضى الله عنهما- ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا أكرم عليه من محمد - صلى الله عليه وسلم- ، وما سمعت الله أقسم بحياة أحد غيره قال تعالى: (لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ)

يقول وحياتك وعمرك وبقائك فى الدنيا إنهم لفى سكرتهم يعمهون "[١]

٢- أن يلفت أنظار الخلق إليها لما فيها من دلالة على كمال القدرة وعجائب الصنعة وعظم الخالق وعجز سواه عن خلق مثلها وبالتلى تفرده تعالى بالقدرة والوحدانية.

وتحقق هذان الأمران فى هذه الآية " وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ" (الطارق١) فالسماء لها من المجد والشرف ما لها ، فهى مسكن الملائكة والملأ الأعلى ومهبط الوحى ، وما فيها من بدائع الصنعة وعجائب القدرة ما يدل على كمال القدرة وعظم الخالق وعجز سواه عن خلق مثالها فهو المتفرد بالقدرة الكاملة والوحدانية المطلقة

لذا أقسم الله تعالى بها فى مواضع كثيرة منها:

١- قوله تعالى : وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧الذاريات)

٢- وقوله تعالى: وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (الطور٥)

٣- وقوله تعالى: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (البروج١)

٤- وقوله تعالى: وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (الطارق١)

٥- وقوله تعالى: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١الطارق)

٦- وقوله تعالى: وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥الشمس)

٧- وأقسم برب السماء والأرض بقوله: فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ (٢٣الذاريات)

---

١ -تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٥٣٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المسألة الثانية : المفهوم اللغوى والعلمى للفظ السماء:

أ-**المفهوم اللغوى** : وردت كلمة سماء فى المعاجم العربية تحت مادة سما ، فهى اسم مشتق من الفعل سما يسمو ، والسمو الارتفاع والعلو ومنه سموت وسميت مثل علوت وعليت وسما الشئ يسمو سموا فهو سام : ارتفع وسما به وأسماه : أعلاه ، وعند رفع البصر إلى شئ يقال : سما إليه البصر ، ويقال فلان لا يسامى وقد علا من سماه ..قال الزجاج : السماء فى اللغة يقال لكل ما ارتفع وعلا قد سما يسمو وكل سقف سماء ، ومن هذا قيل للسحاب السماء لأنها عالية ، والسماء كل ما علاك فأظلك ومنه قيل لسقف البيت سماء ، والسماء التى تظل الأرض مؤنث عند العرب لأنها جمع سماءة وسبق الجمع الوحدان فيها.

والسماءة أصلها : سماوة وإذا ذكرت السماء عنوا به السقف ومنه قوله تعالى : **السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا** (١٨المزمل) ولم يقل منفطرة.

وقال الجوهرى : السماء تذكر وتؤنث و أنشد ابن برى فى التذكير:

ولوْ رفعَ السماءُ إليهِ قوماً ... علونا فى السماءِ إلى السحابِ[١]

والجمع أسمية وسمى وسماوات وسماء ، ومنه قول أمية بن أبى الصلت :

له ما رأَتْ عَيْنُ البَصِيرِ وفَوْقَه ... سَماءُ الإلَهِ فَوْقَ سَبْعِ سَمائِيا[٢]

قال الجوهرى : جمعه على فعائل كما تجمع سحابة على سحائب...وقال **أبو إسحاق** : لفظه لفظ الواحد ومعناه معنى الجمع قال

---

١ -البيت للفرزدق انظر ديوانه ص٩١ط دار الكتب العلمية.

٢ - شرح ديوان أمية بن أبى الصلت ص٨٨ط دار مكتبة الحياة بيروت لبنان قدم له سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والدليل على ذلك قوله تعالى : فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٩البقرة) فيجب أن تكون السماء جمعا كالسماوات كأن الواحد سماءة وسماوة وزعم الأخفش أن السماء جائز أن يكون واحدا كما تقول : كثر الدينار والدرهم بأيدى الناس والسماء والسحاب وأيضا المطر

وقال معاوية بن مالك :

إذا سَقَط السماءُ بأَرضِ قوْمٍ رعَيْناه وإن كانوا غِضابا[1]

وحاصل ما تقدم خمسة أمور:

١- السماء لفظ مشتق من السمو وهو الارتفاع والعلو.

٢- السماء تأتى بمعنى السقف والمطر والسحاب والسماء التى تظل الأرض.

٣- السماء تذكر وتؤنث بحسب المعنى .

٤- السماء تجمع على أسمية وسماوات وسمى وسماء.

٥- وقيل السماء لفظه لفظ الواحد ومعناه معنى الجمع.

ب - المفهوم العلمى للفظ السماء:

يقول أد / حسن أبو العنين: السماء : هو الحيز أو الفضاء اللانهائى الذى يحيط بكوكب الأرض من جميع الجهات ، وتسبح جميع المجرات والسدم والكويكبات والنجوم والكواكب والأقمار فى هذا الفضاء اللانهائى .. والسماء ليست كما يظن البعض فراغا خاويا أو حيزا هاديا ، بل هى بناء هندسى إلهى معجز مقدر تقديرا محكما ، وتحيط السماء سطح كوكب الأرض من جميع الجهات.

وكل ما يوجد على سطح الأرض ويتأثر بالجاذبية الأرضية ومثبت

---

١ - انظر لسان العرب ٣٩٧/١٤بتصرف والمفردات مادة سما ص٢٤٣ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم مادة سما ٦١٩/١مجمع اللغة العربية ط الهيئة العامة للتأليف والنشر سنة١٩٧٠م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

على سطحها تعلوه السماء وتسمو فوقه فالسماء للأرض كالسقف للبيت ومهما سما إليها بصر الإنسان أو نظر إليها عبر المناظير الفلكية المطورة فإن الإنسان يعجز تماما عن تحديد حقيقة أبعادها.[1]

فلا منافاة بين المفهومين -اللغوى والعلمى- فمؤداهما واحد وهو : سماؤك كل ما علاك وأظلك والله أعلم.

المسألة الثالثة: ورود كلمة السماء فى القرآن على معان متعددة:

وردت كلمتا السماء والسماوات فى القرآن الكريم ثلاث مائة وثلاثة عشر موضعا على معان كثيرة هى:

١- السماء المعروفة ومنه قوله تعالى هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (البقرة٢٩) وقال : خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ (٣التغابن) وقال : وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ (٤٧) وقال وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (الطارق١).

٢- السحاب : ومنه قوله تعالى وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (الحجر٢٢).

٣- المطر ومنه قوله تعالى: يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (نوح١١).

٤- سقف البيت ومنه قوله تعالى : فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ (١٥الحج).

٥- سقف الجنة وسقف النار ومنه قوله تعالى : خَالِدِينَ فِيهَا مَا

١- من الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم مع آيات الله فى السماء أ د / حسن أبو العنين أستاذ الجغرافيا الفلكية والطبيعية جامعة الإمارات المتحدة ص٦٣وما بعدها بتصرف. ط مكتبة العبيكان.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (١٠٧) وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (١٠٨هود) فى قصة أهل الجنة وأهل النار.[١]

وهذه الوجوه تتفق معا فى جهة العلو والفوقية ، فالسماء المعروفة وسقف البيت وسقف الجنة والنار جهتها واحدة وهى العلو ، والسحاب والمطر وأن كان مبدأ نشأتهما مياه الأرض عن طريق الأبخرة المتصاعدة إلا أنها تأتى من جهة العلو والله أعلم.

المسألة الرابعة :أقوال المفسرين فى بيان معنى الطارق .

قال الإمام ابن جرير- رحمه الله- : أ قسم ربنا بالسماء وبالطارق الذي يطرق ليلا من النجوم المضيئة، ويخفى نهارًا، وكل ما جاء ليلا فقد طرق.وروى بسنده عن ابن عباس -رضى الله عنهما- (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) قال: السماء وما يطرق فيها .وعن قتادة (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ) قال: طارق يطرق بليل، ويخفى بالنهار . وعن الضحاك(الطَّارِقِ) النجم .[٢]

وقال الواحدى : الطارق يعنى الكواكب تطرق بالليل وتخفى بالنهار،

وقال الفراء: الطارق النجم لأنه يطلع بالليل وما أتاك ليلا فهو طارق، ونحو هذا قال الزجاج والمبرد.[٣] وأخرج عبد بن حميد عن سعيد بن

---

١ - انظر الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز لأبى عبد الله الحسين بن محمد الدامغانى ٤٣٥/١وما بعدها ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سنة١٩٩٦م ونزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر لابن الجوزى ص٣٥٨ وما بعدها ط مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٤م

٢ -جامع البيان للطبرى ٣٥٠/٢٤ط مؤسسة الرسالة

٣ - التفسير البسيط للواحدى ٤٠٣/٢٣ط سلسلة الرسائل الجامعية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة١٤٣٠ه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

جبير قال : قلت لابن عباس { والسماء والطارق } فقال : { وما أدراك ما الطارق } فقلت : { فلا أقسم بالخنس } [التكوير : ١٥] فقال : { الجواري الكنس } [التكوير : ١٥] فقلت : { والمحصنات من النساء } [النساء : ٢٤] فقال : { إلا ما ملكت أيمانكم } [النساء : ٢٤] فقلت : ما هذا؟ فقال : ما أعلم منها إلا ما تسمع .

أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله : { والسماء والطارق } قال : أقسم ربك بالطارق وكل شيء طرقك بالليل فهو طارق .[1]

وقال الراغب : عبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل . وكل ما أتى ليلا فهو طارق .

قال الصاغانى : وتمثلت هند بنت عتبة -رضى الله عنها- يوم أحد بقول الزرقاء الإيادية قالت يوم أحد تحض على الحرب :

نَحْنُ بناتُ طارِق
لا نَنْثَني لِوامِق
نَمْشي على النَّمارِق
المِسْكُ في المَفارِق
والدُّرُّ في المَخانِق
إن تُقْبلوا نُعانِق
أَو تُدْبِرُوا نُفارِق
فِراقَ غَيرِ وامِق

أى نحن بنات سيد شبهته بالنجم شرفا وعلوا[2]

---

١ - الدر المنثور ٣٤٧/١٥ وما بعدها.

٢ - المفردات ص٣٠٣ وتاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الزبيدى ٢٦ / ٦٦ط دار الهداية وأدب الكاتب لابن قتيبة ص٩٠ تحقيق محمد الدالى ط مؤسسة الرسالة ،والجليس الصالح الكافى والأنيس الناصح الشافى لأبى الفرج المعافى بن زكريا ٣٩٦/٣تحقيق د/ إحسان عباس ط عالم الكتب الأولى سنة١٩٨٧

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال القرطبى: وقد بينه الله بقوله وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ [١]

فهذه الأقوال متقاربة وخيرها ما فسر القرآن به نفسه وهو أن المراد بالطارق النجم الثاقب.

* * *

قوله تعالى وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ(٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ(٣) فيه ست مسائل:

المسألة الأولى : تعريف الإدراك : قال الراغب : الدراية المعرفة بضرب من الختل يقال : دريته ودريت به درية نحو فطنت وشعرت وادريت .[٢]

وعرفه الجرجانى بقوله : الإدراك هو إحاطة الشئ بكماله وهو حصول الصورة عند النفس الناطقة ، وتمثيل حقيقة الشئ وحده من غير حكم عليه بنفى أو إثبات يسمى تصورا، ومع الحكم بأحدهما يسمى تصديقا .[٣]

المسألة الثانية الفرق بين العلم والإدراك :

الإدراك موقوف على أشياء مخصوصة وليس العلم كذلك ،الإدراك يتناول الشئ على أخص أوصافه وعلى الجملة ، والعلم يقع بالمعدوم ، ولا يدرك إلا الموجود، والإدراك طريق من طرق العلم ، ولهذا لم يجز أن يقوى العلم بغير المدرك قوته بالمدرك ألا ترى أن الإنسان لا ينسى مايراه فى الحال كما ينسى ما رآه قبل.[٤]

وحاصل ما تقدم : أن العلم أعم من الإدراك ، والإدراك أقوى طرق

---

١ -تفسير القرطبى ١/٢٠

٢ - المفردات ص١٦٨

٣ - التعريفات للجرجانى ص٢٩ط دار الكتاب العربى الأولى سنة ١٤٠٥ ه

٤ - الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى ص٩١ط المكيبة التوفيقية تحقيق عماد زكى البارون.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

العلم ؛ لأن فيه معنى العلم والإحاطة بالشئ ؛ لذلك نفى الله إدراكه بالأبصار فقال لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (الأنعام١٠٣) أما العلم بوجوده فحاصل لا محالة.

المسألة الثالثة : ذكر المواضع التى ورد فيها قوله تعالى " وما أدراك " فى القرآن الكريم وما يستفاد منها.

جاء قوله تعالى " **وما أدراك** " فى القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة كلها جاء الجواب بعدها - كهذه الآية- إلا قوله: **الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣)**- سورة الحاقة- ، وكلها جاءت على أمر ذى شأن عظيم الأهمية وهام للغاية وأراد المولى عز وجل أن يبين ذلك الأمر لنا ويشرحه حتى نفهمه وهذه المواضع هى:

١- **الْحَاقَّةُ (١) مَا الْحَاقَّةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (٣)**- سورة الحاقة-.

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)-المدثر-.

٢- **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥) أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩)**- المرسلات-.

٤-٥- **وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٧) ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ (١٨) يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (١٩)** - الانفطار -

٦- **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ (٧) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ (٨) كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٩)** المطففين .

٧- **كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩)**

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كِتَابٌ مَرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١)المطففين .

٨- فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣)- البلد-

٩- إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣)-القدر-

١٠- الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ (٤) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ (٥) - القارعة

١١-فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ (١١) - القارعة-

١٢- كَلَّا لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ (٩)-الهمزة-

١٣- الآية التى بين أيدينا "وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣)-الطارق.

وبالنظر والتأمل فيما تقدم من آيات يتبين الآتى :

١- ذكرت عبارة وما أدراك فى وصف أمور ذات شأن كبير فى كتاب الله عز وجل ، وبما أن الله ذكرها فى سورة الطارق قائلا "وما أدراك ما الطارق" فتدل على أن الطارق أيضا أمر ذو شأن عظيم وهام للغاية.

٢-كلما وردت هذه العبارة "وما أدراك ما" فى الآيات الشريفة أتى بعدها إجابة لذلك السؤال وتفسيره بغاية الدقة لذلك الأمر العظيم انظر الجواب فى قوله تعالى"وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ وقوله تعالى وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٣٠)-المدثر- وقوله تعالى وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ (٥) -القدر-

٣- وردت عبارة وما أدراك فى أربع آيات تذكر أسماء القيامة - الحاقة ، ويوم الفصل ، ويوم الدين ، والقارعة- وهو يوم يفصل فيه بين الخلائق بالعدل ويجازى فيه العباد بالعدل والفضل.

٤- وردت فى آيتين تذكر الكتابين " سجين وعليين" اللذين يسجل فيهما أعمال الخلق على اختلاف عقائدهم، فكتاب الفجار سجين ، وكتاب الأبرار عليون ، وذلك لإقامة الحجة عليهم وإثباتها ثم الحكم بالعدل للعصاة والفضل للطائعين.

٥-وردت هذه العبارة فى أربع آيات تصف جهنم ودراكاتها " سقر والعقبة والحطمة ونار حامية" وهو عقاب أصحاب الكتاب سجين ، إذن وردت هذه العبارة فى وصف أمور هامة وهى تسجيل أعمال الخلق فى الكتابين ثم يوم الحساب وهناك المجازاة بالفضل للطائعين ثم العقاب بالعدل للكافرين فى جهنم .

٦- وردت هذه العبارة مرتين فى أمر دنيوى :الأول :وهو علوى سماوى" الطارق" والوقوف على حقيقته ومعرفة أحواله يحتاج إلى فهم عميق وتأمل دقيق ورجاحة عقل و هذه العبارة مع ما تقدم تزيده تفخيما وتشويقا لمعرفة ماهية هذا الأمر العجيب فيأتى الجواب النجم الثاقب.

الثانى: هو ليلة القدر وهى ذات شأن ومقدار وهى خير أيام الدنيا ومع ذلك أبهمت فزادها هذا الإبهام تفخيما وتشويقا لمعرفة كنهها وصفاتها فجاء الجواب عنها بذكر صفاتها" لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (٣) تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ (٤) سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

(٥) -القدر- .

٧-هذه العبارة وردت فى السور المكية فى الجزأين الأخيرين من كتاب الله وتتميز سور هذين الجزأين بوجازة العبارة وعمق المعنى مع ما يصحبها من إنذار شديد اللهجة وعظيم الوقع فى نفوس سامعيه ، والتحذير من مغبة ما عليه الكفار من غفلة وثبات عميق وغرق فى جاهليتهم العمياء وضلالاتهم المنكرة وما ترتب على ذلك من إعراضهم عن داعى الحق والسماع له فجاء هذا الإنذار أن انتبهوا واستيقظوا من ثباتكم فإن للكون إلها ومدبرا لشؤونه ومقدرا لأموره ، وأن الأمور لا تترك سدى بل هناك تكاليف يترتب عليها الحساب العادل والجزاء الوفاق إما إلى جنة أو إلى نار وهذه العبارة جاءت منسبكة فى هذا القالب المفعم بالتفخيم والتهويل فهى منسجمة معه تمام الانسجام فى إفادة هذه الدلالات والله أعلم.

المسألة الرابعة: الفرق بين استعمال اللفظين" وما أدراك ، وما يدريك" فى القرآن الكريم .

قال صاحب التحرير والتنوير - رحمه الله-: واستعمال { ما أدراك } غير استعمال { ما يدريك في قوله تعالى : { **وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً** } [الأحزاب : ٦٣] وقوله : { **وما يدريك لعل الساعة قريب** } في سورة الشورى (١٧) .

روي عن ابن عباس : كل شيء من القرآن من قوله : ما أدراك } فقد أدرَاه وكل شيء من قوله : { **وما يدريك** } فقد طُوي عنه» . وقد روي هذا أيضاً عن سفيان بن عيينة[١] وعن يحيى بين سلاّم فإن صح هذا المروي

---

١ -قال سفيان : كل ما فى القرآن وما أدراك فقد أخبر به ، وكل شئ قال فيه وما يدريك لم يخبر به وهذا هو الغالب لأنه فى سورة الحاقة لم يدريه ما الحاقة بل قال كذبت ثمود وعاد بالقارعة الجامع لأحكام القرآن ٢٥٧/١٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فإن مرادهم أن مفعول { ما أدراك } محقق الوقوع لأن الاستفهام فيه للتهويل وأن مفعول { ما يدريك } غير محقق الوقوع[1] لأن الاستفهام فيه للإنكار وهو في معنى نفي الدراية .

وقال الراغب : كل موضع ذُكر في القرآن { وما أدراك } فقد عقب ببيانه نحو { وما أدراك ماهيه نار حامية } [القارعة : ١٠ ١١] ، { وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر } [القدر : ٢ ٣] ، { ثم ما أدراك ما يوم الدين يومَ لا تملك نفس لنفس شيئاً } [الانفطار : ١٨ ١٩] ، { وما أدراك ما الحاقّة كذبت ثمود وعاد بالقارعة } [الحاقة : ٣ ٤] ، وكأنه يريد تفسير ما نقل عن ابن عباس وغيره .

ولم أرَ من اللغويين من وفّى هذا التركيب حقه من البيان وبعضهم لم يذكره أصلاً .[2]

المسألة الخامسة: أقوال اللغويين والمفسرين فى بيان معنى قوله تعالى النجم الثاقب:

أ-اختلف المفسرون واللغويون فى المراد بالنجم هنا على أربعة أقوال :

١- أنه زحل الكوكب الذى فى السماء السابعة قاله على[3]

٢- الثريا قاله ابن زيد.

٣- الجدى قاله الفراء وروى أيضا عن ابن عباس .

٤- هو عام فى سائر النجوم لأن طلوعها بليل وكل من أتاك ليلا

---

١ -لعل مراده غير محقق العلم بوقته أما وقوعه فهو محقق يقينا.

٢ التحرير والتنوير ١١٤/٢٩

٣ - وفى هذا الكلام نظر فقد أثبت العلم الحديث أن زحل أحد كواكب المجموعة الشمسية وهذه المجوعة فى السماء الدنيا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهو طارق روى عن قتادة .

قال القشيري : والمعظم على أن الطارق والثاقب اسم جنس أريد به العموم كما ذكرنا عن مجاهد أى أنه لم يرد به نجم معين كالثريا أو زحل كما قال بعض المفسرين .[1]

فالتعريف فى النجم يجوز أن يكون تعريف الجنس كقول النابغة

أَقُولُ والنَّجْمُ قَدْ مَالَتْ أَوَاخِرُهُ ... إلى المَغِيبِ: تَثَبَّتْ نَظرَةً حَارِ[2]

فيستغرق جميع النجوم استغراقا حقيقيا وكلها ثاقب فكأنه قيل والنجوم ، إلا أن صيغة الإفراد فى قوله الثاقب ظاهر فى إرادة فرد معين من النجوم ، ويجوز أن يكون التعريف للعهد إشارة إلى نجم معروف يطلق عليه اسم النجم غالبا أى والنجم الذى هو الطارق .[3] وهذا ما أكده التفسير العلمى- وسيأتى بيانه فى المسألة السابعة إن شاء الله-

ب- اختلف المفسرون واللغويون فى بيان معنى الثاقب على ستة أقوال :

أحدها : المضيء ، قاله ابن عباس .

الثاني : المتوهج ، قاله مجاهد .

الثالث : المنقضّ ، قاله عكرمة .

الرابع : أن الثاقب الذي قد ارتفع على النجوم كلها ، قاله الفراء .والعرب تقول للطائر إذا لحق ببطن السماء فقد ثقب.

الخامس : الثاقب : الشياطين حين ترمى ، قاله السدي .

---

١ - الجامع لحكام القرآن ٣/٢٠والنكت والعيون ٢٤٦/٦

٢ - ديوان النابغة الذبياني ص٤٩ط دار المعرفة بيروت.

٣ - التحرير والتنوير ٢٥٩/٣٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

السادس : الثاقب في مسيره ومجراه ، قاله الضحاك .[١]

المسألة السادسة: الإعجاز العلمى فى قوله تعالى وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣):

لقد أقسم الله بهذه النجوم وسماها طارقا وذلك لأنها تطرق السماء طرقا بصوتها العالى جدا ويكون صوت الطرق عاليا كلما اقترب منا النجم ، ويصبح الطرق خفيفا كلما بعد ولذلك سماها تعالى النجم الثاقب.

يقول الأستاذ الدكتور زغلول النجار :حار المفسرون فى معنى الطارق وقالوا هو كل نجم ، واعتبروا أن النجم الذى يخترق أو يثقب ظلمة الليل بنوره هو النجم الثاقب وقالوا هو كل نجم ، ولكن هذه الآيات تؤكد أن الطارق نجم خاص بعينه وليس كل نجم وإلا ما قال القرآن وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ (١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ (٢) النَّجْمُ الثَّاقِبُ (٣)، وسمى ثاقبا لأنه يثقب صوت السماء بطرقه ،واكتشف العلم الحديث أن هناك نجما بعينه يطرق طرقات كالنقر على الباب ، فعندما تكون هذه الطرقات بطيئة تشبه دقات القلب ، وعندما تكون سريعة تشبه الطرق على الباب ، ولقد استطاع علماء الفضاء فى وكالة ناسا رصد هذا الصوت عن طريق التليسكوب الراديوى فتسمية القرآن لهذا النجم بالطارق دون غيره من الأسماء شئ باهر للغاية.[٢] سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

* * *

قوله تعالى: إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ (٤) فيه سبع مسائل:

المسألة الأولى : الوجوه التى يرد عليها لفظ النفس فى القرآن الكريم.

---

١ - النكت والعيون ٢٤٦/٦ والجامع لأحكام القرآن ١/٢٠

٢ - www.youtub.com-watch?v=xvru-osicGo

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأول: الأنفس يعنى القلوب فذلك قوله تعالى :(رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا(الإسراء٢٥) يعنى أعلم بما فى قلوبكم

وقوله تعالى : وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى (النجم٢٣) يعنى وما تهوى القلوب

الوجه الثانى : النفس يعنى الإنسان فذلك قوله فى سورة المائدة(مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ... (٣٢) يعنى إنسان بغير إنسان وقال (وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ... (٤٥) يعنى الإنسان بالإنسان.

الوجه الثالث: أنفسكم يعنى منكم فذلك قوله تعالى : لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (التوبة١٢٨) يعنى منكم ومن جنسكم .

الوجه الرابع : أنفسكم يعنى أهل دينكم فذلك قوله فى سورة النساء (وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (النساء٢٩) يعنى لا يقتل بعضكم أهل دينكم وقوله فى سورة النور (فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٦١) يعنى بعضكم على بعض من أهل دينكم

الوجه الخامس: الأنفس يعنى روح الإنسان أى حياته حين يقبض روحه فذلك قوله تعالى فى سورة الأنعام (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ (٩٣) وقوله تعالى اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يَتَفَكَّرُونَ (الزمر ٤٢).

الوجه السادس : تقتلون أنفسكم يقتل بعضكم بعضا فذلك قوله تعالى فى سورة البقرة (ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ...الآية٨٥يعنى يقتل بعضكم بعضا.

الوجه السابع : المراد بالنفس آدم ومنه قوله تعالى فى سورة النساء (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...آية١وفى الأنعام (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ (٩٨).

الوجه الثامن: الأم ومنه قوله تعالى فى سورة النور (لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ (١٢) أى بأمهاتهم والمراد عائشة رضى الله عنها.

الوجه التاسع :النفس بعينها ومنه قوله تعالى فى سورة النساء (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ.....آية٦٦).

الوجه العاشر : النفس الغيب ومنه قوله تعالى (تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) أى تعلم ما فى غيبى ولا أعلم ما فى غيبك.

الوجه الحادى عشر : النفس العقوبة ومنه قوله تعالى فى سورة آل عمران وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (٢٨) يعنى عقوبته.[1] وزاد

---

١ - انظر الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم لهارون بن موسى القارئ ص٢٩٣وما بعدها تحقيق د/ حاتم صالح الضامن ط سلسلة خزانة دار صدام للمحفوظات وزارة الثقافة والإعلام العراق سنة١٩٨٨م.

ونزهة أعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر لابن الجوزى ص٥٩٤:٥٩٧ ط مؤسسة الرسالة تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضى الطبعة الثالثة سنة١٩٨٧م والوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز لأبى عبد الله الحسين بن محمد الدامغانى ص٤٤٩وما بعدها ط دار الكتب العلمية تحقيق عربى عبد الحميد على.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بعضهم وجوها أخرى لا تخلوا من التقارب فى المعنى بينها لذا اقتصرت على هذه الأوجه دون غيرها.

المسألة الثانية: إطلاقات لفظ النفس عند اللغويين :

قال أبو هلال العسكرى - رحمه الله- لفظ النفس مشترك يقع على الروح وعلى الذات ويكون توكيدا فيقال خرجت نفسه أى روحه ، وجاءنى زيد نفسه بمعنى التوكيد ، والسواد سواد لنفسه كما تقول لذاته ، والنفس أيضا الماء وجمعه أنفاس قال جرير: تُعَلِّل وهي ساغبةٌ بَنِيها ... بأنْفاسٍ من اللَّبَنِ القَرَاح.[١]

والنفس ملك الكف من الدباغ ، والنفس التى تستعد بمعنى الذات ما يصح أن تدل على الشئ من وجه يختص به دون غيره ، وإذا قلت هو لنفسه على صفة كذا ، فقد دللت عليه من وجه يختص به دون ما يخالفه .. ويعبر بالنفس عن المعلوم فى قولهم قد صح ذلك فى نفسى : أى قد صار فى جملة ما أعلمه ولا يقال صح فى ذاتى.[٢]

وقال أبو إسحاق :النفس فى كلام العرب يجري على ضربين أحدهما قولك خَرَجَتْ نَفْس فلان أي رُوحُه وفي نفس فلان أن يفعل كذا وكذا أي في رُوعِه والضَّرْب الآخر مَعْنى النَّفْس فيه مَعْنى جُمْلَةِ الشيء وحقيقته تقول قتَل فلانٌ نَفْسَه وأهلك نفسه أي أَوْقَعَ الإهْلاك بذاته كلِّها وحقيقته والجمع من كل ذلك أَنْفُس ونُفُوس.... قال ابن خالويه النَّفْس الرُّوحُ والنَّفْس ما يكون به التمييز والنَّفْس الدم والنَّفْس الأَخ والنَّفْس بمعنى عِنْد والنَّفْس قَدْرُ دَبْغة.[٣]

---

١ -ديوان جريرص٧٧ط دار بيروت للطباعة والنشر

٢ - الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى ص١٠٥وما بعدها.

٣ -لسان العرب٦/٢٣٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المسألة الثالثة تعريف النفس فى الاصطلاح :قال ابن الجوزى قال شيخنا على بن عبد الله : اختلف الناس فى ماهية النفس المختصة بالأدمى اختلافا كثيرا ، و أقربهم إلى الصواب قائلون قالوا : إنها جوهر روحانى والجوهر الروحانى ما كان لطيفا لا يرد شعاع الأبصار وهو مخلوق من النور والضياء ، وأجسام الملائكة من نور ولهذا هم أجساد لطيفة لا تدركهم الأبصار فى عموم الأحوال...وقال قوم : إن النفس جسم لطيف ، وقال قوم هى الدم ، وقال آخرون : هى عرض لأنا لا نجدها تقوم بنفسها.[١]

وعرفها الجرجانى بأنها: الجوهر البخارىاللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية ، وسماها الحكيم الروح الحيوانية ، فهو جوهر مشرق للبدن ، فعند الموت ينقطع ضوءه عن ظاهر البدن وباطنه، وأما فى وقت النوم فينقطع عن ظاهر البدن دون باطنه ، فثبت أن النوم والموت من جنس واحد لأن الموت هو الانقطاع الكلى والنوم هو الانقطاع الناقص.[٢]

فالعلماء اختلفوا فى ماهية النفس هل هى جوهر أم عرض فقال بعضهم إنها عرض لأنها لا تقوم بنفسها ، وقال آخرون : إنها جوهر لطيف روحانى أو بخارى حامل لقوة الحياة والحس والحركات الإرادية والله أعلم بحقيقة الأمر.

المسألة الرابعة : قال أبو بكر بن الأنباري : من اللغويين من سَوَّى النَّفْس والرُّوح وقال هما شيء واحد إلا أَن النَّفْس مؤنثة والرُّوح مذكر قال : وقال غيره :الروح هو الذي به الحياة والنفس هي التي بها العقل فإذا نام النائم قبض اللَّه نَفْسه ولم يقبض رُوحه ولا يقبض الروح إلا عند الموت قال: وسميت النَّفْسُ نَفْساً لتولّد النَّفَسِ منها واتصاله بها[٣]

---

١ -نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائرص٥٩٤

٢ - التعريفات للجرجانىص٣١٢

٣ - لسان العرب ٦/٢٣٣

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المسألة الخامسة : أنواع النفس واختلاف خصائصها:

تختلف خصائص النفس تبعا لاختلاف عالمها وذواتها ، ففى عالم الحيوان تتجلى الصفات والخصوصيات الحيوانية من الميول والشهوات المادية فالسمة الغالبة عليها " النفس الشهوانية " ، وفى عالم الإنسان تختلف النفس تبعا لدرجة رقيها وقربها من الروحانية أو انحطاطها ودنوها إلى درجة الحيوانية . ومن هنا تتنوع النفس الإنسانية إلى ما يأتى :

١-النفس الناطقة : وهى المجردة عن المادة فى ذواتها مقارنة لها فى أفعالها .. فإذا سكنت النفس تحت الأمر وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات للنفس الشهوانية ومتعرضة لها سميت لوامة لأنها تلوم صاحبها عن تقصيرها فى عبادة مولاها ، وإن تركت الاعتراض وأذعنت وأطاعت لمقتضى الشهوات ودواعى الشيطان سميت أمارة

٢- فالنفس الأمارة : هى التى تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلب إلى الجهة السفلية فهى مأوى الشرور ومنبع الأخلاق الذميمة.

٣-والنفس اللوامة : هى التى تنورت بنور القلب ما تنبهت به عن سنة الغفلة كلما صدرت عنها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية أخذت تلوم نفسها وتتوب عنها.

٤- والنفس المطمئنة : هى التى تم نورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالأخلاق الحميدة.

٥- النفس القدسية : هى التى لها ملكت استحضار جميع ما يمكن للنوع أو قريبا من ذلك على وجه يقينى وهذا نهاية الحدس.[١]

المسألة السادسة : أقوال المفسرين فى المراد بقوله تعالى " لما عليها

---

١ - التعريفات للجرجانى ص ٣١٢وما بعدها بتصرف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

حافظ" :

للمفسرين فى بيان المراد بالحافظ ثلاثة أقوال :

القول الأول : هم الحفظة من الملائكة الذين يحفظون عليها عملها وقولها ويحصون ما تكسب من خير وشر .

القول الثانى : الحافظ هو الله عز وجل.

القول الثالث : هو العقل يرشدهم إلى المصالح ويكفهم عن المفاسد .والأول أولى لقوله تعالى"وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كِرَامًا كَاتِبِينَ (الانفطار ١٠،١١) وقوله "وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً...آية ٦١الأنعام وقوله "لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...أية ١١الرعد) والحافظ على الحقيقة هو الله عز وجل كما فى قوله"فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (يوسف٦٤) وحفظ الملائكة من حفظه لأنهم بأمره .[1]

والسر فى تعدية كلمة حافظ بحرف الجر "على" لتضمنه معنى القيام فإنه تعالى قائم على خلقه بعلمه واطلاعه على أحوالهم واستيلائه وقدرته عليها وتصرفه فيها حسبما شاء[2]

المسألة السابعة : ما الذى يحفظه هذا الحافظ؟ فى بيان ذلك وجوه:

أحدها : أن هؤلاء الحفظة يكتبون عليه أعماله دقيقها وجليلها حتى تخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا.

ثانيها : إن كل نفس لما عليها حافظ يحفظ عملها ورزقها وأجلها فإذا استوفى الإنسان أجله ورزقه قبضه إلى ربه، وحاصله يرجع إلى وعيد

---

١ - فتح القدير للشوكانى٥/٤١٩ط دار الفكر بيروت.

٢ - حاشية زادة على البيضاوى ٨/٥٦٥وما بعدها ط دار الكتب العلمية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الكفار وتسلية النبى – صلى الله عليه وسلم– كقوله " فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (مريم٨٤) ثم ينصرفون عن قريب إلى الآخرة بما يستحقونه .

وثالثها : إن كل نفس لما عليها حافظ يحفظها من المعاطب والمهالك فلا يصيبها إلا ما قدر الله .

رابعها : قال الفراء : إن كل نفس لما عليها حافظ يحفظها حتى يسلمها إلى المقادير ، وهذا قول الكلبي .قال ابن عطية وهذا القول فاسد المعنى لأن مدة الحفظ إنما هى بقدر.[1]

ما ترشد إليه الآيات :

١- تعظيم الله لبعض مخلوقاته عن طريق القسم بها لدلالتها على القدرة الإلهية والوحدانية.

٢- النفس الإنسانية موكولة بحفظ الله وعنايته فلم يكلها إلى نفسها طرفة عين فتهلك.

٣- مراقبة النفس البشرية وحصر أعمالها عليها يستلزم مجاهدة الهوى وترك المعاصى والتشمير فى أعمال البر والطاعات.

---

١ – التفسير الكبيرللرازى١١٧/٣١ط دار الكتب العلمية سنة٢٠٠٠م والمحرر الوجيز لابن عطية٤٦٥/٥ط دار الكتب العلمية الأولى١٩٩٣م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثانى
الاستدلال بالمبدأ على المعاد

ويحتوى على مطلبين : المطلب الأول : النشأة الأولى للإنسان
المطلب الثانى : أحوال العباد يوم المعاد

وإليك بيان كل مطلب على حدة :

المطلب الأول : النشأة الأولى للإنسان

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧)

أ- مناسبة الآيات لما قبلها:

تظهر المناسبة بين هذه الآيات وما قبلها من وجهين : الوجه الأول : اعلم أنه تعالى لما أقسم على أن لكل نفس حافظا يراقبها ويعد عليها أعمالها فحينئذ يحق لكل أحد أن يجتهد ويسعى فى تحصيل أهم المهمات ، وقد تطابقت الشرائع والعقول على أن أهم المهمات معرفة المبدأ ومعرفة المعاد ، واتفقوا على أن معرفة المبدأ مقدمة على معرفة المعاد فلهذا السبب بدأ الله تعالى بعد ذلك بما يدل على المعاد.[1]

فهذه الآيات من قبيل التفريع على ما سبق فى الآيات السابقة .

الوجه الثانى: أن هذه الآيات بالنسبة لما قبلها بمثابة إقامة الدليل على الدعوى المقسم عليها زيادة فى التأكيد ووجه ذلك أن الماء الدافق سائل لا تصوير فيه ولا تقدير للآلات التى يظهر فيها عمل الحياة كالأعضاء ونحوها، ثم إن السائل مبدأ خلق الإنسان الكامل بما فيه من حياة وعقل و إدراك وغير ذلك من الأمور التى تؤهله للقيام بمهمة الخلافة فى الأرض .

---

١ - التفسير الكبير للرازى ١١٧/٣١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فهذه الأمور من الخلق والإبداع دليل على أنه يبعد كل البعد أن يترك الإنسان سدى بلا حافظ يراقب عليه أعماله ويدبر شؤونه وهو الله تعالى .[١]

* * *

ب- بيان معانى المفردات والاشتقاق الصرفى لها :

" دافق " دفَقَ الماءُ والدَّمْعُ يَدْفِق ويدْفُق دَفْقاً ودُفُوقاً وانْدفَق وتَدَفَّق واستَدْفَقَ انْصبَّ ودَفَقَ الماءَ صبَّه وبابه نَصَر فهو مَاءٌ دافِقٌ أي مَدْفُوقٌ كسِرٌ كَاتِمٌ أي مكْتُوم والاندفاقُ الانْصباب. والتَّدَفُّق التَّصَبُّب. وجاء القوم دَفَقَةً واحدة بالضم أي جاءوا بَمرّةٍ واحدة.[٢]

" الصلب " الشديد وباعتبار الصلابة والشدة سمى الظهر صلبا قال تعالى: يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) وقال وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ...آية ٢٣النساء [٣]. وفى اللسان الصُّلْبُ والصُّلَّبُ عَظْمٌ من لَدُنِ الكاهِلِ إلى العَجْب والجمع أَصْلُب وأَصْلاب وصلَبَةٌ أنشد ثعلب

أَما تَرَيْنِي اليَوْمَ شَيْخاً أَشْيَبَا ... إِذا نَهَضْتُ أَتَشَكَّى الأَصْلُبا [٤]

" الترائب " موضع القلادة من الصدر وقيل غير ذلك.[٥]

* * *

ج- الإعراب: " فلينظر " الفاء فصيحة واللام لام الأمر وينظر فعل مضارع مجزوم باللام والإنسان فاعل.

" مم " من حرف جر وما اسم استفهام فى محل جر بمن - وما

---

١ - انظر الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده تفسير جزء عم ٣٦٦/٥ط دار الشروق بتصرف

٢ -لسان العرب١٠/٩٩ ومختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر الرازى ص٨٧ط مكتبة لبنان ناشرون ١٩٩٥م

٣ - المفردات ص٢٨٤

٤ - لسان العرب ٥٢٦/١

٥ - السابق ٢٢٧/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الاستفهامية يحذف ألفها إن سبقها حرف جر- والجار والمجرور متعلق بخلق.

" خلق " فى موضع نصب بقوله فلينظر المعلق عنها بالاستفهام، وجواب الاستفهام خلق من ماء ، وجملة خلق من ماء دافق مستأنفة كأنها جواب سؤال مقدر " وخلق" فعل ماضى مبنى للمفعول ومن ماء متعلق بخلق.

"دافق" نعت لماء أى مدفوق.

" يخرج من بين الصلب والترائب" نعت ثان أو حالية ومن بين الصلب متعلق بيخرج ، والترائب عطف على الصلب.[١]

د- الصور البلاغية :فى قوله تعالى "من ماء دافق" مجاز بالإسناد فقد أسند إلى الماء ما لصاحبه من الدفق للمبالغة أو هو استعارتمكنية وتخيلية كما ذهب إليه السكاكى أو مصرحة بجعله دافقا لأنه لتتابع قطراته كأنه يدفق بعضه بعضا.[٢]

فى قوله تعالى "يخرج من بين الصلب والترائب" كناية كنى بالصلب عن الرجل وبالترائب عن المرأة .[٣]

وبين الصلب والترائب أيضا طباق فقد طابق بين عظم الظهر وعظم الصدر.

و- القراءات:

" فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ" قرأ البزى ويعقوب بخلاف عنهما بهاء السكت فى الوقف "ممه" وقراءة الباقين بالسكون من غير هاء فى الوقف.[٤]

---

١ -إعراب القرآن وبيانه ٤٤٣/١٠

٢ -روح المعانى ٩٧/٣٠

٣ - التفسير المنير ١٧٥/٣٠

٤ - القراءتان متواترتان انظر النشر فى القراءات العشر ١٣٤/٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

• خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ" قراءة الجماعة دافق اسم فاعل من دفق وهو بمعنى المفعول وقرأ زيد بن على "مدفوق" على وزن مفعول اسم مفعول من دفق.[١]

" يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ" قرأ الجمهور يخرج مبنيا للفاعل من خرج وقرأ ابن أبى عبلة وابن مقسم وابن السميفع اليمانى وعيسى بن عمر الثقفى " يخرج"مبنيا للمفعول من أخرج .

" الصلب" قراءة الجمهور بضم الصاد وسكون اللام ، وقرأ ابن أبى عبلة وابن مقسم وعيسى بن عمر الثقفى وابن السميفع وابن سيرين وابن مسعود "الصلب" بضم الصاد واللام ، والضم فى اللام للإتباع.

وقرأ ابن السميفع اليمانى "الصلب" بفتح الصاد واللام وهو لغة فى الصلب حكاها اللحيانى والأصمعى .. وقرئ الصالب أيضا وهو الصلب .[٢]

وحاصل ما تقدم أن فى الصلب أربع لغات :

١-بضم الصاد وسكون اللام .

٢-الصلب بفتحتين ومنه قول العجاج: فـي صَـلَبٍ مثـلِ العِنـانِ المُؤْدَمِ.[٣]

٣-الصلب بضمتين وقد قرئ بها جميعا .

٤- وثمة لغة رابعة وهى الصالب كقوله من صالب إلى رحم.[٤]

---

١ - قراءة زيد بن على قراءة شاذة انظر البحر المحيط٨/٤٥٥ومعجم القراءات د/عبد اللطيف الخطيب ١٠/٣٧٩ط دار سعد الدين للطباعة والنشر دمشق الأولىسنة٢٠٠٠م

٢ - قراءة يخرج بالبناء للمفعول قراءة شاذة انظر معجم القراءات ١٠/٣٨١ والجامع لأحكام القرآن ٢٠/٧ والدر المصون للسمين الحلبى١٠/٧٥٤ط دار القلم.

٣ ديوان العجاج ١/٤٠٥ ط منشورات دار الآفاق الجديدة الطبعة الثانية ١٩٨٠ ومفردات الراغب٢٩٢

٤ - الدر المصون ١٠/٧٥٤وإعراب القرآن وبيانه١٠/٤٤١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المعنى الإجمالى للآيات:

فى هذه الآيات دعوة لأولى النهى بالنظر فى أصل خلق الإنسان من أى شئ كانت البداية وإلى أى شئ تصير النهاية ، فالبداية من ماء دافق مهين يتكون من بين صلب الرجل وترائب المرأة وفى أصل هذا التكوين سر من الأسرار الإلهية لم يطلع عليه إلا فى النصف الأخير من القرن الماضى حيث اطلع العلم الحديث على هذه الحقيقة بالوسائل الكشفية الحديثة وعرف أن عظام الظهر الفقارية يتكون منها ماء الرجل وفى عظام الصدر العلوية للمرأة يتكون ماؤها حيث يلتقى الماءان فى قرار مكين فينشأ منهما الإنسان فسبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

* * *

الشرح والتحليل

قوله تعالى : "خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ" فيه مسألتان:

المسألة الأولى : أقوال أئمة اللغة فى وصف الماء بأنه دافق: الدفق صب الماء ، يقال : دفقت الماء ، أي صببته وهو مدفوق ، أي مصبوب ، ومندفق أي منصب ، ولما كان هذا الماء مدفوقاً اختلفوا في أنه لم وصف بأنه دافق على وجوه الأول : قال الزجاج : معناه ذو اندفاق ، كما يقال : دراع وفارس ونابل ولابن وتامر ، أي درع وفرس ونبل ولبن وتمر ، وذكر الزجاج أن هذا مذهب سيبويه.

الثاني : أنهم يسمون المفعول باسم الفاعل . قال الفراء : وأهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم ، يجعلون المفعول فاعلاً إذا كان في مذهب النعت ، كقوله سر كاتم ، وهم ناصب ، وليل نائم ، وكقوله تعالى : { فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ } [القارعة : ٧] أي مرضية .

الثالث : ذكر الخليل في الكتاب المنسوب إليه دفق الماء دفقاً ودفوقاً إذا

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

انصب بمرة ، ودفق الكوز إذا انصب بمرة، ويقال في الطيرة عند انصباب الكوز ونحوه : دافق خير ، وفي كتاب قطرب: دفق الماء يدفق إذا انصب.

الرابع : صاحب الماء لما كان دافقاً أطلق ذلك على الماء على سبيل المجاز.[1]

المسألة الثانية : ما السر في إفراد الماء مع أن الإنسان مخلوق من ماءين "ماء الرجل وماء المرأة":

قال الإمام الألوسي- رحمه الله- : وقيل من ماء مع أن الإنسان لا يخلق إلا من ماءين ماء الرجل وماء المرأة ولذا كان خلق عيسى عليه السلام خارقاً للعادة لأن المراد به الممتزج من الماءين في الرحم وبالامتزاج صارا ماءً واحداً ووصفه بالدفق قيل باعتبار أحد جزئيه وهو مني الرجل وقيل باعتبار كليهما ومني المرأة دافق أيضاً إلى الرحم ويشير إلى إرادة الممتزج على ما قيل قوله تعالى : يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ .[2]

وكما يشير إلى ذلك قوله تعالى إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (الإنسان٢)

* * *

قوله تعالى : يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) فيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : المراد بالصلب منطقة العمود الفقرى للإنسان وهو عظم من لدن الكاهل إلى العجب ويجمع لفظ الصلب على أصلب وأصلاب وصلبة .[3]

---

[1] التفسير الكبير ١١٧/٣١ والجامع لأحكام القرآن ٤/٢٠وروح المعانى ٩٧/٣٠

[2] روح المعانى ٩٧/٣٠

[3] لسان العرب ٥٢٦/١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المسألة الثالثة : بيان أقوال المفسرين فى المراد بالترائب :

اختلفوا فى بيان المراد منها على ستة أقوال: حدها : أنه الصدر ، قاله ابن عياض ، ومنه قول دريد بن الصمة .

فإنْ تُدْبروا نأخذكُم في ظهوركم ... وإنْ تُقْبلُوا نأخذكُم في الترائب

الثاني : ما بين المنكبين إلى الصدر ، قاله مجاهد .

الثالث : موضع القلادة ، قاله ابن عباس ، قال الشاعر :

والزعفران على ترائبها ... شرق به اللّبّاتُ والنحْرُ

الرابع : أنها أربعة أضلاع من الجانب الأسفل ، قاله ابن جبير ، وحكى الزجاج أن الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة أضلاع من يسرة الصدر .

الخامس : أنها بين اليدين والرجلين والعينين ، قاله الضحاك .

السادس : هي عصارة القلب ، قاله معمر بن أبي حبيبة .[1]

والصواب من القول في ذلك عندنا، قولُ من قال: هو موضع القِلادة من المرأة، حيث تقع عليه من صدرها؛ لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب، وبه جاءت أشعارهم، قال المثقِّب العبدي:

وَمِنْ ذَهَبٍ يُسَنُّ عَلَى تَرِيبٍ... كَلَوْنِ العَاجِ لَيْسَ بِذِي غُضُونِ [2]

وقال آخر:

وَالزَّعْفَرَانُ عَلَى تَرَائِبِهَا شَرِقا... بِهِ اللَّبَّاتُ والنَّحْرُ [3]

وقول امرئ القيس :

---

١ - النكت والعيون ٢٤٧/٦ والجامع لأحكام القرآن ٥/٢٠

٢ -المفضليات ص٥٧٩

٣ الجليس الصالح والأنيس الناصح للمعافى بن زكريا ١٣٥/٢ ونسبه للأعشى والبيت لم يرد فى ديوانه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مُهَفْهَفَةٌ بَيضاءُ، غَيرُ مُفَاضَةٍ ... تَرائِبُها مَصْقُولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ[1]

المسألة الثالثة : الإعجاز العلمى الذى تضمنته الآيات:

قد بينت الدراسات الجنينية الحديثة أن نواة الجهاز التناسلى والجهاز البولى فى الجنين تظهر بين الخلايا الغضروفية المكونة لعظام العمود الفقرى وبين الخلايا المكونة لعظام الصدر.

وتبقى الكلى فى مكانها وتنزل الخصية إلى مكانها الطبيعى فى الصفن عند الولادة وعلى الرغم من انحدار الخصية إلى أسفل فإن الشريان الذى يغذيها بالدم طول حياتها يتفرع من الأورطة بحذاء الشريان الكلوى .

كما أن العصب الذى ينقل الإحساس إليها ويساعدها على إنتاج الحيوانات المنوية وما يصاحب ذلك من سوائل متفرع من العصب الصدرى العاشر الذى يغادر التخاع الشوكى بين الضلعين العاشر والحادى عشر .

وواضح من ذلك أن الأعضاء التناسلية وما يغذيها من أعصاب وأوعية دموية تنشأ من موضع فى الجسم بين الصلب والترائب "العمود الفقرى والقفص الصدرى"[2]

يقول الأستاذ عبد الرزاق نوفل : إن هذه الآية لمن معجزات القرآن العلمية . إذ لم يعرف إلا فى الخمسين سنة الماضية فقط أن منى الرجل إنما يتكون من صلبه أى ظهره وأن بويضات النساء تتكون من أمام صدرها أى ترائبها وهكذا أوضح القرآن قبل العلم بأربعة عشر قرنا

---

[1] ديوان امرئ القيس ص١١٥ ومعنى مهفهفة خفيفة اللحم ليست برهلة ولا ضخمة البطن .والمفاضة :المسترخية البطن . والترائب موضع القلادة من الصدر ومصقولة مجلوة والسجنجل :المرآة الصافية والشاهد فى قوله ترائبها مصقولة أى موضع القلادة من صدرها مجلوا كالمرآة الصافيةانظر حاشية الديون ص١١٥

[2] المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ص٨٩٨ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سنة ١٩٩٠م وانظر التحرير والتنوير ٣٠/٢٦٣ومابعدها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

مكان إفراز المنى والبويضات فى الإنسان.[١]

ما ترشد إليه الآيات :

١- بيان مادة تكوين الإنسان ومصدر تكوين تلك المادة.

٢- علمه تعالى المحيط بما هو كائن وما يكون فلا تخفى عليه خافية فى الأرض ولا فى السماء.

٣- قدرته تعالى الباهرة على خلق الإنسان من ماء مهين وتصويره بهذه الصورة الرائعة المعتدلة قال تعالى: "الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ (٨ الانفطار) تعالت قدرته وتجلت حكمته.

---

١ - الله والعلم الحديث عبد الرزاق نوفل ص١٦٦طدار الشروق مكتبة الأسرة سنة١٩٨٨م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المطلب الثانى

أحوال العباد يوم المعاد

قال تعالى: "إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ(٨)يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ(٩) فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ(١٠)

مناسبة الآية لما قبلها :

وبعد السؤال والجواب عنه لمعرفة المبدأ الذى هو مقدمة لمعرفة المعاد ناسب أن يبدأ الله به ذكر النتيجة المترتبة على ذلك وهى بيان القدرة على الإعادة فقال :"إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ.."[١]

يقول الإمام محمد عبده –رحمه الله – : هذه الآية استئناف كلام لبيان نتيجة من نتائج النظر السابق أى اعلم بعدما أحكمت نظرك أن الله قادر على إزعاجك وإعادتك إلى الحياة فى ذلك اليوم يوم القيامة وهو اليوم الذى تبلى فيه السرائر وتتصفح الضمائر[٢]

* * *

بيان معانى المفردات :

"يوم تبلى" يوم تختبر قاله ابن عباس ومقاتل وقتادة وقال الكلبى ومقاتل بمعنى تظهر[٣]

" السرائر" السر ما أخفيت والجمع أسرار....والسريرة كالسر والجمع سرائر[٤]

* * *

---

[١] التفسير المنير ١٧٢/٣٠

[٢] الأعمال الكاملة ٣٦٧/٥ط دار الشروق

[٣] البسيط للواحدى٤١٦/٢٣

[٤] لسان العرب٣٥٦/٤

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإعراب:

:"إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ" إنه : إن واسمها ، وعلى رجعه متعلق بقادر والضمير فى إنه يعود على الله واللام المزحلقة[1] وقادر خبر إن

" يَوْمَ تُبْلَى" فيه أوجه : قد رتبها أبو البقاءعلى الخلاف فى الضمير فى قوله "رجعه"فقال على القول بكون الضمير للإنسان فيه أوجه :

أحدها هو معمول قادر.إلا أن ابن عطية قال بعد أن حكى أوجها عن النحاة فقال: وكل هذه الفرق فرت من أن يكون العامل « قادر » ، لأن ذلك يظهر منه تخصيص القدرة في ذلك اليوم وحده ، وإذا تؤمل المعنى وما يقتضيه فصيح كلام العرب ، جاز أن يكون العامل « قادر » لأنه إذا قدر على ذلك فى هذا الوقت كان على غيره أقدر بطريق الأولى[2]

والثانى أن العامل مضمر على التبيين: أي يرجع يوم تبلى.

والثالث تقديره اذكر فيكون مفعولا به.

وعلى عوده على الماء يكون العامل فيه اذكر ، وجوز بعضهم أن يكون العامل فيه ناصر وهو فاسد لأن ما بعد ما النافية لا يعمل فيما قبلها. وقيل العامل فيه "رجعه" وهو فاسد لأنه قد فصل بين المصدر ومعموله بأجنبى وهو الخبر وبعضهم يغتفره فى الظرف.[3]

---

١ تسمى اللام المزحلقة وذلك لأن أصل إنّ زيداً لقائم: لإنّ زيداً قائم فكرهوا افتتاح الكلام بتوكيدين فأخروا اللام دون إن لئلا يتقدّم معمولُ الحرف عليه، وإنما لم ندّع أن الأصل إنّ لزيداً قائم لئلا يحول ما له الصدر بين العامل والمعمول مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام ٢٥٣/٣تحقيق د/عبداللطيف محمد الخطيب الطبعة الأولى الكويت سنة٢٠٠٠م.

٢ - المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٤٦٦/٥ط دار الكتب العلمية

٣ -الدر المصون ٧٥٥/١٠وإملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب القراءات لأبى البقاء العكبرى ٢٨٥/٢ط المكتبة العلمية لاهور باكستان تحقيق ابراهيم عطوة عوض

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

"فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ" الفاء عاطفة وما نافية وله خبر مقدم ومن حرف جر زائد وقوة مجرورة بمن لفظا مرفوع محلا لأنه مبتدأ مؤخر والواو حرف عطف ولا نافية وناصر عطف على قوة وجملة تبلى السرائر محل جر إضافة الظرف إليها والسرائر نائب فاعل تبلى[1]

* * *

الصور البلاغية : فى قوله "يوم تبلى السرائر" كناية عن الحساب والجزاء وبلو الأعمال الظاهر والأقوال مستفاد بدلالة الفحوى من بلو السرائر.[2]

* * *

المعنى الإجمالى :

يخبر جل ذكره وتعالت عظمته عن قدرته على البعث وإعادة الإنسان للحياة بعد الموت يوم تكشف السرائر وتتصفح الضمائر ويميز الطيب من الخبيث فلا يكتم سر ولا تخفى خافية بل تنقلب كل خافية إلى علانية ولا يسأل أحد عن أحد ، ولا يستطيع أن يدعى أحد غير ما عمل بل الكل مرهون بما كسبت يداه فلا يبقى إلا الجزاء إما إلى جنة أو إلى نار

* * *

الشرح والتحليل

" إنه على رجعه " **اختلف أهل التأويل فى الضمير فى قوله على رجعه إلام يعود على وجهين :**

الأول : أنه يعود على الماء وفيه ثلاثة معان:

أحدها: على أن يرد المنى فى الإحليل قاله مجاهد .

---

[1] إعراب القرآن وبيانه ١٠/٤٤٤

[2] التحرير والتنوير ٣٠/٢٦٥

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الثانى : على أن يرد الماء فى الصلب قاله عكرمة.

الثالث : على أن يحبس الماء فلا يخرج

الوجه الثانى : أنه يعود على الإنسان وفيه ثلاثة معان :

الأول :على أن يرد الإنسان من الكبر إلى الشباب ، ومن الشباب إلى الصبا ، ومن الصبا إلى النطفة ، قاله الضحاك .

الثانى : على أن يعيده حيّاً بعد موته ، قاله الحسن وعكرمة وقتادة .

الثالث : على أن يعيده إلى الدنيا بعد بعثه في الآخـــرة لأن الكفـــار يسألون الله فيها الرجعة.[1]

قال الإمام الطبرى: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معنى ذلك: إن الله على ردّ الإنسان المخلوق من ماء دافق من بعد مماتـــه حيًّا، كهيئته قبل مماته لقادر.

وإنما قلت: هذا أولى الأقوال في ذلك بالصواب؛ لقوله:(يَـــوْمَ تُبْلَـــى السَّرَائِرُ) فكان في إتباعه قوله:(إِنَّهُ عَلَى رَجْعِه لَقَادِرٌ) نبأ من أنباء القيامة، دلالة على أن السابق قبلها أيضًا منه، ومنه(يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ) يقول تعالى ذكره: إنه على إحيائه بعد مماته لقادر يوم تُبلى السرائر، فاليوم من صـــفة الرجع، لأن المعنى: إنه على رجعه يوم تبلى السرائر لقادر.[2]

قوله تعالى "يوم تبلى السرائر"أي يتعرف ويتصفح ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها ومما أخفي من الأعمال ويميز بين مـــا طـــاب منها وما خبث وأصل الابتلاء الاختبار وإطلاقه على ما ذكر إطلاق علـــى اللازم وحمل السرائر على العموم هو الظاهر وأخرج ابن المنذر عن عطاء السرائر فرائض الأعمال كالصوم والصلاة والغسل من الجنابة فإنها سرائر

---

١ - النكت والعيون٦/٢٤٨ وتفسير الطبرى ٢٤/٣٥٨بتصرف فى العبارة

٢ -جامع البيان ٢٤/٣٥٨ وتفسير البسيط ٢٣/٤١٣وما بعدها

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بين الله تعالى وبين العبد فلو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها .

وأخرج البيهقي في الشعب عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ضمن الله تعالى خلقه أربعاً : الصلاة والزكاة وصوم رمضان والغسل من الجنابة وهن السرائر " التي قال الله تعالى يوم تبلى السرائر

وقال ابن عمر: بيدي الله عز وجل يوم القيامة كل سر، فيكون زيناً في وجوه وشيناً في وجوه،

يعني: من أداها كان وجهه مشرقًا، ومن ضيعها كان وجهه أغبر.[1]

قوله تعالى : " فما له من قوة ولا ناصر" فيه قولان : أحدهما : أن القوة العشيرة ، والناصر : الحليف ، قاله سفيان .

الثاني : فما له من قوة في بدنه ، ولا ناصر من غيره يمتنع به من الله ، أو ينتصر به على الله ، وهو معنى قول قتادة .

ويحتمل ثالثاً : فما له من قوة في الامتناع ، ولا ناصر في الاحتجاج .[2]

ما ترشد إليه الآيات :

١- تقرير المعاد والبعث والجزاء.

٢- التحذير من إسرار الشر وإخفاء الباطل وإظهار خلاف ما فى الضمائر فإن الله تعالى عليم بذلك وسيخبتبر عباده فى كل ما يسرون ويخفون.

---

١ - روح المعانى ومعالم التنزيل للبغوى ٣٩٤/٨ ط دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة سنة ١٩٩٧م والبسيط٤١٦/٢٣

٢ - النكت والعيون ٢٤٨/٦ومعالم التنزيل ٣٤٩/٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣- نفى الله سبحانه وجود القوة الذاتية والقوة العرضية الخارجة عن الإنسان يوم القيامة بقوله " فما له من قوة ولا ناصر" والآية دليل على أن لا قوة للعبد ذلك اليوم لا من نفسه ولا من غيره ولا شك أن نفى القوة زجر وتحذير ، ويتجه أولا إلى أصحاب القوة والنفوذ فى الدنيا الذين يعتمدون على الأعوان والأنصار وهناك يوم القيامة يفقدون كل شئ روى عن عكرمة قال فماله من قوة ولا ناصر قال هؤلاء الملوك مالهم يوم القيامة من قوة ولا ناصر ، وإذا كان هذا منفيا فى حقهم فمن باب أولى فى حق غيرهم.[١]

---

١ - راجع التفسير المنير ٣٠/١٨١والجامع لأحكام القرآن٢٠ /١٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث

القسم على صدق القرآن والكيد للكافرين بإمهالهم واستدراجهم

قال تعالى: وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (١١) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (١٢) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧).

مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد إثبات توحيد الله وقدرته على خلق الإنسان أولا وإعادته بالبعث والمعاد، أقسم الله قسما آخر على صحة نزول القرآن من عند الله مشتملا على القول الفصل وصحة رسالة النبى الكريم -صلى الله عليه وسلم-الذى ينزل عليه الوحى القرآنى ، ثم أردفه بوعيد المفترين والكائدين للرسول -صلى الله عليه وسلم- ،ووعد هذا النبى وكل داع إلى الحق بالفوز والغلبة .[1]

بيان معانى المفردات والاشتقاق الصرفى لها:

" الرجع ": رَجَع يَرْجِع رَجْعاً ورُجُوعاً ورُجْعَى ورُجْعَاناً ومَرْجِعاً ومَرْجِعةً انصرف... والرَّجِيعُ من الكلام المَرْدُودُ إِلى صاحبه والرَّجْعُ والرَّجِيعُ النَّجْوُ والرَّوْثُ وذو البَطن لأَنه رَجَع عن حاله التي كان عليها... والرَّجْع المطر لأَنه يرجع مرة بعد مرة.[2]

وقال الراغب : الرجوع العود إلى ما كان منه البدء وقوله: (والسماء ذات الرجع) أي المطر، وسمى رجعا لرد الهواء ما تناوله من الماء.[3]

---

[1] -التفسير المنير ١٧٦/٣٠

[2] - لسان العرب ١١٤/٨

[3] - المفردات ص١٨٨وما بعدها بتصرف

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فمادة الرجع تطلق على معنيين :١- العود والتكرار سواء أكان العود رجوعا إلى الحالة التى كان عليها الشئ أو رجوعا عنها إلى غيرها . ٢- رجع عن الشئ أى صرف عنه ورده .

" الأرض" كل ما سفل فهو أرض.[١]

" الصدع " الشق فى الشئ الصلب كالزجاجة والحائط وغيرها وجمعه صدوع .[٢]

"فصل" الفَصْل الحاجِز بين الشيئين فَصَل بينهما يفصِل فَصْلاً فانفصل.... وقَوْل فَصْل حقٌ ليس بباطل.[٣]

"هزل" الهَزْل نقيض الجِدّ هَزَل يَهْزِلُ هَزْلاً.. وفي التنزيل وما هو بالهَزْل قال ثعلب أي ليس بِهَذَيان.[٤]

"الكيد" الكيد ضرب من الاحتيال وقد يكون مذموما وممدوحا وإن كان يستعمل في المذموم أكثر.[٥]

"مهل"المهل التؤدة والسكون، يقال مهل في فعله وعمل في مهلة، ويقال مهلا نحو رفقا، وقد مهلته إذا قلت له

مهلا، وأمهلته رفقت به[٦]

"رويدا" : الرَّوْدُ والرُّوْدُ المُهْلَة في الشيء وقالوا رُوَيْداً أي مَهْلاً... ورُوَيدا تصغير رُودِ فروى أَبو عبيد عن أَصحابه تكبير رويدِ رَوْدٌ وأنشد للجَموحُ الظَّفَرِيُّ

---

١ -لسان٧/١١

٢ - السابق ٨/١٩٤

٣ -لسان العرب ١١/٥٢١

٤ -السابق١١/٦٩٦

٥ - المفردات ص٤٤٣

٦ -المفردات ص٤٧٦

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تَكادِ لا تَثلِمُ البَطحاءَ وَطأتُها ... كأنها ثَمِلٌ يَمشي على رُودِ[1]

أي على مَهَل ورفق وتؤده وقيل : رويد تصغير إرواد فهو تصغير ترخيم بحذف الزوائد.[2]

الإعراب :

" والسماء ذات الرجع" الواو حرف قسم وجر والسماء مجرور بواو القسم والجار والمجرور متعلق بفعل القسم المحذوف وذات الرجع نعت للسماء.

"والأرض ذات الصدع" عطف على جملة " والسماء ذات الرجع"

"إنه لقول فصل" الجملة لا محل لها من الإعراب لأنها جواب القسم وإن واسمها واللام المزحلقة للتوكيد وقول خبر إن، وفصل نعت لقول.

"وما هو بالهزل" الواو حرف عطف وما حجازية تعمل عمل ليس وهو اسمها والباء حرف جر زائد والهزل مجرور لفظا منصوب محلا لأنه خبر ما.

" إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) وَأَكِيدُ كَيْدًا (١٦) فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧)

كلام مستأنف مسوق للإجابة عن سؤال نشأ من فحوى الكلام كأنه قيل وماذا تتسمى مكابرتهم وعنادهم فقيل إنهم ، إن واسمها وجملة يكيدون خبرها. "كيدا " مفعول مطلق.

"فمهل" الفاء فصيحة أى إن شئت أن ترى مغبة أمرهم فلا تستعجل الانتقام منهم ، ومهل فعل أمر والكافرين مفعول به "وأمهلهم" كرر فعل

---

[1] لسان العرب ١٨٧/٣وحروف المعانى لأبى القسم الزجاجىص٩ ط مؤسسة الرسالةالأولى سنة١٩٨٤م تحقيق على توفيق الحمد

[2] لسان العرب١٨٧/٣بتصرف.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأمر تأكيدا لرسوله وزاد فى الصيغة لزيادة تسكين قلبه وتصبيره.

"رويدا" منصوب على المصدر والأصل إروادا فهو تصغير ترخيم بحذف الزوائد.[١] وسيأتى مزيد من الأوجه فى إعرابها فى الشرح والتحليل إن شاء الله.

الصور البلاغية :

"الرجع " في اسم الرجع مناسبة لمعنى البعث في قوله : { إنه على رجعه لقادر } [الطارق : ٨] وفيه محسن الجناس التام وفي مسمى الرجع وهو المطر المعاقب لمطر آخر مناسبة لمعنى الرجع البعث فإن البعث حياة معاقبة بحياة سابقة .[٢]

الكيد : إخفاء قَصد الضر وإظهار خلافه ، فكيدهم مستعمل في حقيقته ، وأما الكيد المسند إلى ضمير الجلالة فهو مستعمل في الإمهال مع إرادة الانتقام عند وجود ما تقتضيه الحكمة من إنزاله بهم وهو استعارة تمثيلية ، شبهت هيئة إمهالهم وتركهم مع تقدير إنزال العقاب بهم بهيئة الكائد يخفي إنزال ضره ويظهر أنه لا يريده وحسَّنها محسن المشاكلة .[٣] فتسمية ما كان من قبله تعالى فى حق المشركين من استدراجهم والنتقام منهم من حيث لا يحتسبون كيدا من باب المشاكلة لوقوعه في مقابلة كيدهم وجزاء له..وذلك لأن الكيد وهو المكر والاحتيال لا يجوز إسناده إليه تعالى مراد به معناه الحقيقى ، وتسمية جزاء ذلك الشئ باسم ذلك الشئ على سبيل المشاكلة كثير فى القرآن كقوله تعالى: نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (التوبة٦٧)

---

١ - اعراب القرآن وبيانه ١٠/٤٤٤

٢ -التحرير والتنوير ٣٠/٢٦٦

٣ -التحرير والتنوير ٣٠/٢٦٨

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وقوله: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ..آية١٤٢النساء وقوله اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (البقرة١٥)بعد ما حكى عنهم قولهم إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (البقرة١٤) [1]

القراءات:

"فمهل " قراءة الجماعة فمهل وقرئ فأمهل بالهمزة .

"وأمهلهم" قراءة الجمهور :" أمهلهم" وقرأ ابن عباس" مهلهم"[2] بفتح الميم وشد الهاء موافقة للفظ الأصل الأول فمهل الكافرين .[3]

المعنى الإجمالى للآيات:

أقسم المولى جل ذكره بالسماء ذات الرجع أى المطر وغيره ، وبالأرض ذات الصدع أى التى تتشقق بالنبات والزرع والأشجار على أن القرآن قول فصل يفصل به بين الحق والباطل ، وحكم عدل فىكل أمر متنازع فيه فهو الفرقان بين الأمور كلها كما وصفه منزله بقوله تعالى: تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (الفرقان١) لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهذا المعنى بقوله "وما هو بالهزل" أى باللعب والباطل ، ثم بين جل ذكره كيد الكافرين ومكرهم فى محاولة إبطاله بنسج الشبهات حول بعض ما أخبرنا به من عقائد كما أخبرنا المولى جل ذكره عنهم وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (١٢٩الأنعام) "إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (المؤمنون٣٧) وقولهم "قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨يس)وقولهم" أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا

---

[1] حاشية زادة على البيضاوى ٥٧٠/٨

[2] - قراءة ابن عباس مهلهم شاذة ذكرها ابن جنى فى المحتسب فى تبيين وجوه شواذ القراءات٣٥٤/٢ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

[3] معجم القراءات ٣٨٢/١٠

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (ص٥) وقولهم "وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (الفرقان٥) وقولهم" وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١الزخرف) وبالطعن فى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بقولهم ساحر وشاعر وكاهن ومجنون وتآمرهم عليه لقتله كما أخبرنا تعالى بقوله "وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠الأنفال) فهذه بعض صور كيدهم لإبطال القرآن والتشكيك فى مبلغه ، فلا تلتفت إلى كيدهم يا محمد -صلى الله عليه وسلم- ولا تعبأ بمكرهم فكيد الله تعالى متين وهو خير الماكرين ، فمن يغلب كيده ومكره ، فمهل الكافرين أمهام رويدا ولا تعجل عليهم سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم إن كيدى متين ، وقد حقق الله وعده فلم يمض إلا أعوام معدودة حتى فتحت مكة وقضى على الأوثان والشرك فى بلاد العرب والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

الشرح والتحليل

قوله تعالى "والسماء ذات الرجع" فيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: أقوال اللغويين والمفسرين فى بيان معنى الرجع:

قال أبو عبيدة الرجع فى كلام العرب الماء وأنشد للهزلى يصف السيف:

أبيضُ كالرَّجْع رَسوبٌ إِذا ... ما ثاخَ في محتفَلٍ يختلي[1]

قال الفراء : تبتدئ بالمطر ثم ترجع به فى كل عام .

وقال أبو إسحاق : الرجع المطر لأنه يجئ ويتكرر وهذا معنى قول

---

١ -ديوان الهزليين ١٢/٢ط مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة الطبعة الثانية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ابن عباس في رواية عطاء قال: يبتدئ بالمطر ثم يرجع به في كل عام ، وهو قول مقاتل وسعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس ومجاهد قالوا :ذات المطر تمطر ثم تمطر ثم ترجع تمطر بعد مطر وقال أهل المعاني : رجع السماء إعطاء الخير الذى يكون من جهتها حالا بعد حال على مرور الأزمان ترجعه رجعة أى تعطيه مرة بعد مرة وقال ابن زيد : هو أنها ترد وترجع شمسها وقمرها بعد مغيبها والقول هو الأول.[1]

وحاصل قولهم أن في الرجع خمسة أقوال: أحدها : ذات المطر ، لأنه يرجع في كل عام ، وقد صحت الرواية عن ابن عباس أنه قال والسماء ذات الرجع أى المطر .[2]

ووجه تسمية المطر رجعا: إنه مأخوذ من ترجيع الصوت ، وهو إعادته ، وكذا المطر لكونه يعود مرّة بعد أخرى سمي رجعاً . وقيل : إن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ، ثم رجعه إلى الأرض . وقيل : سمته العرب رجعاً لأجل التفاؤل ليرجع عليهم . وقيل : لأن الله يرجعه وقتاً بعد وقت .[3]

الثاني ذات السحاب ، لأنه يرجع بالمطر وهو قريب من الأول روى البخارى عن مجاهد " وال[4]سماء ذات الرجع سحاب يرجع بالمطر .

الثالث : ذات الرجوع إلى ما كانت ، قاله عكرمة .

الرابع : ذات النجوم الراجعة ، قاله ابن زيد .

- البسيط للواحدى٢٣/٤١٧وما بعدها

- المستدرك على الصحيحين كتاب التفسير باب سورة الطارق٢/٥٦٥قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه

- فتح القدير٥/٤٢٠ وتفسير روح المعانى ٣٠/١٠٠

- صحيح البخارى كتاب التفسير باب سورة الطارق٤/١٨٨٥ط دار ابن كثير اليمامة الثانية١٩٨٧م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

قال الماوردى: ويحتمل خامساً : ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد [١].

المسألة الثانية : التفسير العلمى لقوله تعالى " والسماء ذات الرجع":

يختلف معنى الرجع عند العلماء -علماء الفلك - باختلاف معنى السماء كما يلى :

أولا : إذا كان المقصود بالسماء الكون كله بما فيه من مجرات ونجوم فإن علوم الفلك قد أكدت لنا على أن أجرام السماء قد خلقها الله تعالى من الدخان الكونى "دخان السماء" الذى نتج عنه عملية الانفجار العظيم التى يسميها القرآن الكريم الفتق أو فتق الرتق" أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ (الأنبياء٣٠) فإن كل أجرام السماء تمر فى دورة حياة تنتهى بالعودة إلى دخان السماء عن طريق الانفجار ، ثم تتخلق من هذا الدخان السماوى أجرام جديدة لتعاد الكرة فى دورات مستمرة ، وهذه صورة باهرة من صور الرجع التى لم يدركها العلماء إلا بعد اكتشاف دورة النجزم فى العقود المتأخرة من القرن العشرين وذلك مصداقا لقوله تعالى أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (العنكبوت١٩) ولقد رأى العلماء كيف يبدأ الله الخلق ثم يعيده ليس فقط فى النجوم بل فى كل المخلوقات.[٢]

ثانيا: أن يكون المقصود بالسماء - فى الآية الكريمة- هو الغلاف الغازى للأرض وعلى هذا فصور الرجع متعددة وهى كالتالى :١- الرجع

---

١ - النكت والعيون٦/٢٤٨والجامع لأحكام القرآن٢٠/١١

٢ -انظر "والسماء ذات الرجع" مقال للدكتور زغلول النجار نشر فى جريدة الأهرام ص١٢عدد السابع والعشرين من أغسطس لسنة٢٠٠١م ومن علم الفلك القرآنى د/ عدنان الشريف ص٦١ط دار العلم للملايين الأولى سنة١٩٩١م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الغلاف الغازى للهواء- الأصوات وصداها- فهو أول صورة من صور رجع السماء ولولاه ما سمع بعضنا بعضا وما استقامت الحياة على الأرض.

٢- الرجع المائى: الناتج من بخار المحيطات والبحار والأنهار، وهذا البخار تدفعه الرياح وتحمله السحاب إلى الطبقة الدنيا من الغلاف الغازى للأرض حيث يتكثف ويعود إلى الأرض مطرا أو ثلجا أو بردا وبدرجة أقل على هيئة ندى أو ضباب.

٣- الرجع الحرارى إلى الأرض ومنها إلى الفضاء بواسطة السحب : فيصل إلى الأرض من الشمس كميات هائلة من الطاقة فيعمل الغلاف الغازى للأرض كدرع واقية لنا من حرارة الشمس أثناء النهار كما يعمل لنا كغطاء بالليل يمسك بحرارة الأرض من التشتت.

٤- رجع الغازات والأبخرة والغبار المرتفع من سطح الأرض ويتمثل ذلك فى ظاهرة البراكين التى تدفع بملايين الأطنان من الغازات والأبخرة والأتربة إلى الجو الذى سرعان ما يرجع إلى الأرض.

٥- رجع الأشعة فوق البنفسجية بواسطة طبقة الأوزون التى تقوم بامتصاص وتحويل هذه الأشعة وترجع نسبا كثيرة منها إلى خارج الأرض.

٦- رجع الإشارات الراديوية : تعكس طبقات الغلاف الغازى للأرض الإشارات الراديوية وتردها إلى الأرض فتيسر عمليات البث الإذاعى والاتصالات الراديوية وكلها تمثل صورا من الرجع إلى الأرض.

٧- رجع الأشعة الكونية "الضارة" بواسطة كل من أحزمة الإشعاع والنطاق المغناطيسى للأرض.[١]

المسألة الثالثة التوفيق بين التفسير اللغوى والعلمى لقوله

---

١ انظر "والسماء ذات الرجع" مقال د/زغلول النجار فى جريدة الأهرام ص١٢عدد٢٧أغسطس ٢٠٠١م بتصرف وراجع من آيات الإعجاز العلمى للجبال فى القرآن الكريم د/زغلول النجارعدد٣ص١٤ومابعدها.ط مكتبة الشروق الدولية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تعالى "والسماء ذات الرجع" :

بالنظر إلى ما تقدم من أقوال نجد أن كلا التفسيرين نظر إلى الأصل اللغوى لمادة "الرجع" وأولها بما يتفق مع طبيعة علمه ولا منافاة بينها فإن اللفظ الكريم يحتملها كلها والله أعلم.

* * *

قوله تعالى " وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ " فيه أربع مسائل :

المسألة الأولى : الوجوه والنظائر التى ترد عليها كلمة الأرض فى القرآن الكريم .

قال الراغب : الأرض البرم المقابل للسماء وجمعه أرضون ولا تجئ مجموعة في القرآن، ويعبر بها عن أسفل الشئ كما يعبر بالسماء عن أعلاه.[1] وجاءت الأرض فى القرآن على سبعة أوجه:

١- الأرض يعنى أرض الجنة قال تعالى " **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** (الأنبياء١٠٥) يعنى أرض الجنة خاصة وقال تعالى" **وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ** (الزمر٧٤).

٢- الأرض المقدسة بالشام خاصة فذلك قوله تعالى " **وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا**...الأعراف١٣٧) وكقوله" **وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ** (١٧١الأنبياء) يعنى الأرض المقدسة.

٣- أرض المدينة خاصة فذلك قوله تعالى " **أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا**...آية٩٧النساء . يعنى أرض المدينة وكقوله " **يَا عِبَادِيَ**

---

١ - المفردات ص١٦

آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ (٥٦العنكبوت)يعنى أرض المدينة وأمرهم بالهجرة إليها.

٤- أرض مكة خاصة كقوله " قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ..النساء٩٧ -يعنى أرض مكة.

٥- أرض مصر خاصة فذلك قول يوسف -عليه السلام - " قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ (يوسف٥٥).

٦- أرض المسلمين " قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ...الكهف٩٤-يعنى أرض المسلمين.

٧- الأرض جميع الآرضين قال تعالى " وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا..هود٦.[1] ومنه قوله تعالى " والأرض ذات الصدع "إلى آخر

هذه المعانى التى ترجع فى مجموعها إلى ثلاثة أقوال :

أ-الأرض المعهودة عند ساكنيها "كأرض الشام ومصر ومكة والمدينة".

ب- جنس الأرض أى كوكب الأرض.

ج- أرض غير الأرض التى نعرفها وهى أرض الجنة أو أرض القيامة" يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (ابراهيم٤٨).

المسألة الثانية: أقوال المفسرين واللغويين فى بيان معنى الصدع:

الصدع فى اللغة الشق يقال :صدعه إذا شقه فتصدع ومنه قوله " يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ (الروم٤٣) أى يتفرقون، والعرب تقول صدعت غنمى صدعتين كقولك فرقتها فرقتين ، فالصدع مصدر ثم يقال فى الزجاجة

١-الأشباه والنظائر فى القرآن الكريم مقاتل بن سليمان ص تحقيق د/ عبد الله شحاته ط الهيئة المصرية العامة للكتاب الثانية١٩٩٤م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والحائط صدع فيسمى به والذى فى الآية الاسم لا المصدر.

قال أبو عبيدة والفراء والزجاج تتصدع بالنبات وهو معنى قول ابن عباس .

وقال الحسن وقتادة وعكرمة وابن زيد والضحاك " تنشق عن النبات والأشجار.

وقال مجاهد : هى السدان بينهما طريق نافذ يعنى الجبلين بينهما شق.

وقال الليث : الصدع نبات الأرض لأنه يصدع الأرض فتتصدع به الأرض وهذا قول مجاهد فى رواية الليث قال ذات النبات وعلى هذا سمى صدعا لأنه صادع للأرض.[1]

وحاصل ما تقدم أن فى المراد بالصدع أربعة أقوال وهى : ١- ذات النبات لانصداع الأرض عنه ، قاله ابن عباس .

٢- ذات الأودية ، لأن الأرض قد انصدعت بها ، قاله ابن جريج .

٣- ذات الطرق التي تصدعها المشاة ، قاله مجاهد .

٤-ذات الحرث لأنه يصدعها .

وزاد الماوردى خامساً فقال: ذات الأموات لانصداعها عنهم للنشور .[2] ولا منافاة بين هذه الأقوال لأن اللفظ يحتملها كلها .

المسألة الثالثة التفسير العلمى لقوله تعالى "**والأرض ذات الصدع** ".

يقول الدكتور زغلول النجار : فهذا قسم عظيم لحقيقة كونية باهرة لم يدركها العلماء إلا فى النصف الأخير من القرن العشرين فالأرض التى نحيا عليها لها غلاف صخرى خارجى ، هذا الغلاف ممزق بشبكة هائلة من الصدوع تمتد امئات الآلاف من الكيلو مترات طولا وعرضا بعمق

---

١ -البسيط٢٣/٤٢٠

٢ -النكت والعيون٦/٢٤٩ والجامع لأحكام القرآن٢٠/١١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتراوح ما بين خمس وستين كيلو مترا ومائة وخمسين كيلو مترا فى كل الاتجاهات ومن الغريب أن هذه الصدوع مرتبطة ببعضها البعض ارتباطا يجعلها كأنها صدع واحد ، يشبهه العلماء باللحام على كرة التنس.

والقرآن الكريم يقول : "والأرض ذات الصدع"هذا الصدع لازمة من لوازم جعل الأرض صالحة للعمران لأن الأرض فيها كم من العناصر المشعة التى تتحلل تلقائيا بمعدلات ثابتة ، وهذا التحلل يؤدى إلى إنتاج كميات هائلة من الحرارة ، ولو لم تجد هذه الحرارة متنفسا سهلا لها لانفجرت الأرض كقنبلة نووية هائلة منذ اللحظة الأولى لتيبس قشرتها الخارجية ، وانطلاقا من ذلك يقسم الله تعالى بهذه الحقيقة الكونية الباهرة التى لم يستطع العلماء أن يدركوا أبعادها إلا بعد الحرب العالمية الثانية واستمرت دراستهم لأكثر من عشرين سنة متصلة "من١٩٤٠م:١٩٦٥م" حتى استطاعوا أن يرسموا هذه الصدوع بالكامل والقرآن الكريم قد سبق إدراكهم لها بأكثر من ألف و أربعمائة من السنين بقول الحق تبارك وتعالى "والأرض ذات الصدع"[١] و أمام هذه العظمة الهائلة والعلم المحيط لا يسعنا إلا أن نخر ساجدين خاشعين لمن هذا ملكه وتدبيره "صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ (النمل٨٨).

المسألة الرابعة التوفيق بين التفسيرين -اللغوى والعلمى- .

لا منافاة بين ما تقدم من أقوال إذ أن لفظ الآية يحتملها كلها فكل فريق ذهب فيها حسبما تقتضيه طبيعة بحثه وما ينكشف له من حقائق وما زال العلم الحديث يكشف لنا من كنوز الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم ما يبهر عقولنا ولا يسعنا إلا أن نقول سبحان من أحاط بكل شئ علما.

قوله تعالى "إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (١٣) وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ (١٤)يجوز فى عود

---

١ - من آيات الإعجاز العلمى فى القرآن ١/٧٧وما بعدها ط مكتبة الشروق الدولية باختصار وانظر من علوم الأرض القرآنية د/ عدنان الشريف ص٢٦ط دار العلم للملايين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الضمير فى قوله "إنه لقول فصل" أمران:

أحدهما : ما قدّمه عن الوعيد من قوله تعالى : « إنه على رجعه لقادر يوم تبلى السرائر » الآية . تحقيقاً لوعيده ، فعلى هذا في تأويل قوله « فصل » وجهان :

أحدها : حد ، قاله ابن جبير .

الثاني : عدل ، قاله الضحاك .

الأمر الثانى أن الضمير يرجع إلى القرآن الذي من جملته هذه الآيات الناطقة بمبدأ حال الإنسان ومعاده وهو أولى من جعل الضمير راجعاً لما تقدم أي ما أخبرتكم به من قدرتي على إحيائكم لأن القرآن يتناول ذلك تناولاً أولياً وقوله تعالى : { لَقَوْلٌ فَصْلٌ } أنسب به والمراد لقول فاصل بين الحق والباطل قد بلغ الغاية في ذلك حتى كأنه نفس الفصل وقيل مقابلة الفصل بالهزل بعد يستدعي أن يفسر بالقطع أي قول مقطوع به والأول أحسن .[1]

قوله تعالى "وما هو بالهزل" ليس فى شئ منه شائبة الهزل وهو اللعب والباطل بل هو جد كله فيجب أن يهتدى به وأن يكون مهيبا فى الصدور معظما فى القلوب يترفع به قارئه وسامعه عن أن يلم بهزل أو يتفكه بمزاح لا يناسب جلال القرآن وعظمته ، ويتصور أن جبار السماوات والأرض يخاطبه فيأمره وينهاه ويتوعده ويبشره وينذره.[2]

قوله تعالى : "إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا (١٥) فيه مسألتان :

المسألة الأولى : بيان المراد بكيد الكافرين .

"إنهم" أى كفار مكة " يكيدون " أى يعملون المكايد في إبطال أمره

---

١ - انظر روح المعانى ١٠٠/٣٠ والنكت والعيون ٢٤٩/٦

٢ - صفوت البيان لمعانى القرآن حسنين مخلوف ص٧٩٨الطبعة الثامنة سنة٢٠٠٧م

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإطفاء نوره أو في إبطال أمر الله تعالى وإطفاء نوره وذلك الكيد على وجوه منها إلقاء الشبهات كقولهم "وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (الأنعام٢٩) وقولهم على لسان بعضهم " قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨يس) وقولهم

أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ (٥ص) ، ومنها بالطعن في مبلغه بكونه ساحرا أو شاعرا أو مجنونا ومنها بقصد قتله عليه الصلاة والسلام قال تعالى: وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠الأنفال)

المسألة الثانية : أصل الكيد والمراد به في جنب الله تعالى:

أصل الكيد : هو إرادة مضرة بالغير على الخفية[1] فهو نوع من المكر، وهو في حق الله محمول على وجهين : أحدها : دفعه تعالى كيد الكفرة عن محمد عليه الصلاة والسلام ويقابل ذلك الكيد بنصرته وإعلاء دينه تسمية لأحد المتقابلين باسم كقوله تعالى : { وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا } [الشورى : ٤٠] وقال الشاعر :

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وكقوله تعالى : { نَسُواْ الله فأنساهم أَنفُسَهُمْ } [الحشر : ١٩] { يخادعون الله وَهُوَ خَادِعُهُمْ } [النساء : ١٤٢].

وثانيها : أن كيده تعالى بهم هو إمهاله إياهم على كفرهم حتى يأخذهم على غرة[2]

قوله تعالى فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا (١٧) فيه ثلاث مسائل :

المسألة الأولى : المراد بقوله "فمهل الكافرين أمهلهم رويدا"أي فلا

---

١ - التفسير الكبير ٩٤/٣٢

٢ - التفسير الكبير ١٢١/٣١

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك أو تأن وانتظر الانتقام منهم ولا تستعجل.[1]

" رويدا"أي قريباً كما أخرج ابن المنذر وابن جرير عن ابن عباس أو قليلاً كما روي عن قتادة وأخرج ابن المنذر عن السدى أنه قال أي أمهلهم حتى آمر بالقتال ولعله المراد بالإمهال القريب أو القليل واختار بعضهم أن يكون المراد إلى يوم القيامة لأن ما وقع بعد الأمر بالقتال كالذي وقع يوم بدر وفي سائر الغزوات لم يعم الكل وما يكون يوم القيامة يعمهم والتقريب باعتبار أن كل آت قريب وعلى هذا النحو التقليل على أن من ماتب فقد قامت قيامته والظاهر ما قال السدى وقد عراهم بعد الأمر بالقتال ما عراهم وعدم العموم الحقيقي لا يضر.[2]

المسألة الثانية : أقوال النحاة فى إعراب كلمة " رويدا" . قال النحويون : رويد في كلام العرب على ثلاثة أوجه أحدها : أن يكون اسماً للأمر كقولك : رويد زيداً تريد أرود زيد أي خله ودعه وأرفق به ولا تتصرف رويد في هذا الوجه لأنها غير متمكنة ومن هذا ما ذكره سيبويه سماعا عن العرب : رويد الشعر يغب قال : يريدون أرود الشعر كما يقول دع الشعر وأنشد:

رويد عليا جد ما ثدي أمهم ... إلينا ولكن ودهم متماين[3]

والثاني : أن يكون بمنزلة سائر المصادر فيضاف إلى ما بعده كما تضاف المصادر تقول : رويد زيد ، كما تقول : ضرب زيد قال تعالى : { فَضَرْبَ الرقاب } [محمد : ٤].

١- روح المعانى ١٠٠/٣٠وما بعدها

٢ - السابق ١٠١/٣٠

٣ - ديوان الهذليين ٤٦/٣ والشاهد نصب على برويد لأن رويدا بدل من قولك أرود ومعناه أمهل شرح المفصل٢٦/٣تحقيق د/إميل بديع يعقوب ط دار الكتب العلمية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والثالث : أن يكون نعتاً منصوباً كقولك : ساروا سيراً رويداً ، ويقولون أيضاً : ساروا رويداً ، يحذفون المنعوت ويقيمون رويداً مقامه كما يفعلون بسائر النعوت المتمكنة ، ومن ذلك قول العرب : ضعه رويداً أي وضعاً رويداً ، وتقول للرجل : يعالج الشيء الشيء رويداً ، أي علاجاً رويداً ، ويجوز في هذا الوجه أمران أحدهما : أن يكون رويداً حالاً

والثاني : أن يكون نعتاً فإن أظهرت المنعوت لم يجز أن يكون للحال ، والذي في الآية هو ما ذكرنا في الوجه الثالث ، لأنه يجوز أن يكون نعتاً للمصدر كأنه قيل : إمهالاً رويداً ، ويجوز أن يكون للحال أي أمهلهم غير مستعجل متأنيا بهم.[1]

المسألة الثالثة : بيان القول فى نسخ الإمهال بآية السيف:

اختلف المفسرون فى نسخ الإمهال المذكور فى الآية فذهب الواحدى ومن وافقه كالبغوى وابن البارزى وهبة الله ابن سلامة على أنها منسوخة بآية السيف[2].

وذهب جمهور المفسرين إلى أنها محكمة ولهذا لم تذكر فى كتبهم المعنية بالناسخ والمنسوخ كالناسخ والمنسوخ

للنحاس وابن الجوزى وغيرهم.[3]وهو القول الراجح لإمكان الجمع بين الآيتين بحمل الأمر بالإمهال فى حالة القلة والضعف والأمر بالقتال فى حالة الكثرة والقوة وحيث لا تعارض فإعمال الآيتين أولى من إعمال واحدة

---

١ - البسيط للواحدى٢٣/٤٢٥:٤٢٣و التفسير الكبير للرازى١٢٢/٣١

٢ -الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة بن نصر المقرى ص١٩٦ط المكتب الإسلامى الأولى ١٤٠٤ه وناسخ القرآن ومنسوخه لابن البارزىص٥٧ط مؤسسة الرسالة الثالثة ١٤٠٥ه والبسيط للواحدى٢٣/٤٢٢

٣ - راجع المصفى من علم الناسخ والمنسوخ لابن الجوزى ط مؤسسة الرسالة١٤١٥ه والناسخ والمنسوخ للنحاس ط مكتبة الفلاح الكويت ١٤٠٨ه و البسيط٢٣/٤٢٢

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وإهمال الأخرى والله أعلم .

ما ترشد إليه الآيات:

١- أقسم اله بالسماء ذات الرجع أى المطر- وخلافه من أنواع الرجع السابق بيانها- وبالأرض ذات الصدع والتشقق بالنبات وغيره على أن القرآن فرقان يفصل بين الحق والباطل وأنه جد ليس فيه شائبة هزل وأنه منزل من عند الله على رسوله محمد -صلى الله عليه وسلم-.

٢- الإخبار عن مكر أعداء الله للقرآن والرسول وإعمال المكائد له إما بالقتل ، أو توجيه التهم بالطعن فى نبوته وادعاء أنه ساحر أو شاعر أو مجنون ووصف القرآن بأنه أساطير الأولين.

٣- كيد الله لهؤلاء الماكرين الكافرين باستدراجهم وإمهالهم ثم النكال والعذاب المهين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الخاتمة :

الحمد لله الذى بحمده تتم الصالحات والصلاة والسلام على من كمل به صرح الرسالات وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الحشر بعد الممات . وبعد

فقد قضيت فى رحاب هذه السورة المباركة وقتا ليس بالقصير لعلى أنهل من فيضها وأغوص فى بحارها فأستخرج بعضا من للآلئها ودررها بقدر طاقتى البشرية ومعرفتى المحدودة ، فإن أصبت ذلك فبمحض توفيق الله ومنته ، وإن كانت الأخرى فمن نفسى ومن الشيطان ، والله أسأل أن يجبر ضعفى ويقيل عثرتى ويتجاوز عن زلتي ، وكان من ثمار هذه الدراسة الوقوف على الحقائق التالية:

١- قسم الخالق بمخلوقاته يلفت الأنظار إليها بما يدل على شرفها وعلو مكانتها، ودلالتها على قدرة البارى ووحدانيته.

٢- اعتنت السورة الكريمة – كغيرها من السور المكية- بإقامة الأدلة المادية عن طريق النظر فى الأنفس والأفاق على إثبات الأصول العقدية كالمعاد والبعث والملائكة الحفظة وإثبات صدق القرآن الكريم.

٣- مجالات الإعجاز القرآنى لا تتناهى ،وفنون القول لا تحصى ، وبراعة العرض لا نظير لها،فقد جمعت السورة بين الإعجاز العلمى والبيانى بأسلوب رفيع محكم يتميز بالإيجاز ودقة المعنى.

٤- القرآن الكريم كلام الله المقدس والمنزه عن الباطل والهزل ، فعلى قارئه وسامعه تنزيهه عما لا يناسب جلال قدره وعظم مكانته ، فلا ينزله منزلة اللعب والمزاح فهو من صفات الله المنعوت بكل كمال والمنزه عن كل نقص.

٥- وعد الله لرسوله بالنصر والتمكين ، ووعيده للكافرين

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالاستدراج والكيد والخذلان ، وقد أنجز الله وعده بإظهار دينه وعلو كلمته ، ووعيده بالقضاء على الشرك وهزيمة المشركين.

فهذا غيث من فيض ورشفة من يم أرجو بها النفع لأمة خاتم النبيين وأن يأخذ بأيديهم إلى الطريق المستقيم ، وأن يكون خالصا لوجهه الكريم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. راجى عفو ربه ورحمته

د/ مصطفى شعبان البسيونى مسعد

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثبت المصادر والمراجع

أولاً :التفسير وعلوم القرآن:

١- الإتقان فى علوم القرآن لجلال الدين السيوطى ط دار عالم المعرفة.

٢- أسباب النزول للواحدىط.

٣- الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان تحقيق د/عبد الله شحاته ط الهيئة المصرية العامة للكتاب الثانية سنة١٩٩٤م.

٤- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ط دار الكتب العلمية.

٥- البرهان فى علوم القرآن للزركشى ط دار إحياء الكتب العربية الأولى سنة١٩٥٧م.

٦- البسيط للواحدى ط سلسلة الرسائل العلمية جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة١٤٣٠ه.

٧- التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ط الدار التونسية للنشر سنة١٩٨٤م.

٨- تفسير القرآن العظيم لابن كثير ط دار الديث.

٩- التفسير الكبيرلفخر الدين الرازى ط دار الكتب العلمية سنة٢٠٠٠م.

١٠-التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج د/وهبة الزحيلى ط دار الفكر المعاصر بيروت.

١١- جامع البيان للطبرى ط مؤسسة الرسالة.

١٢-الجامع لأحكام القرآن للقرطبى ط دار إحياء التراث العربى سنة١٩٨٥م.

١٣-حاشية زادة على البيضاوى محى الدين شيخ زادة ط دار الكتب العلمية.

١٤- الحجة فى القراءات السبع لأبى على الفارسى ط دار المأمون للتراث.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٥-الدر المنثور فى التفسير بالمأثور للسيوطى تحقيق د/عبد الله عبد المحسن التركى
بالتعاون مع مركز هجر للبحوث والدراساتالعربية والإسلامية.
١٦-الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبى ط دار القلم دمشق تحقيق د/أحمد محمد الخراط.
١٧- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى شهاب الدين الألوسى ط دار إحياء التراث العربى.
١٨- صفوت البيان لمعانى القرآن حسنين مخلوف الطبعة الثامنة سنة٢٠٠٧م.
١٩- فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير محمد بن على الشوكانى ط دار الفكر بيروت.
٢٠- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ط دار الكتب العلمية سنة١٩٩٣م.
٢١- المصفى من علم الناسخ والمنسوخ لابن الجوزى ط مؤسسة الرسالة سنة١٤١٥ه.
٢٢- معالم التنزيل للبغوى ط دار طيبة للنشر والتوزيع الطبعة الرابعة سنة١٩٩٧.
٢٣- معجم القراءات د/ عبد اللطيف الخطيب ط دار سعد الدين للطباعة والنشر دمشق الأولى سنة ٢٠٠٠م.
٢٤- المنتخب فى تفسير القرآن الكريم ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سنة١٩٩٠م.
٢٥- ناسخ القرآن ومنسوخه لابن البازرى ط مؤسسة الرسالة الثالثة سنة١٤٠٥ه.
٢٦- الناسخ والمنسوخ لأبى جعفر النحاس ط مكتبة الفلاح الكويت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

سنة١٤٠٨ه .

٢٧- الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة بن نصر المقرى ط المكتب الإسلامى الأولى سنة١٤٠٤ه.

٢٨- نزهة الأعين النواظر فى علم الوجوه والنظائر لابن الجوزى ط مؤسسة الرسالة سنة ١٩٨٤م تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضى.

٢٩- نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للبقاعى ط دار الكتاب الإسلامى.

٣٠- النكت والعيون للماوردى ط دار الكتب العلمية.

٣١- هميان الزاد إلى دار المعاد ط محمد بن يوسف أطفيش ط وزارة التراث القومى والثقافة سلطنة عمان .

٣٢- الوجوه والنظائر فى القرآن الكريم هارون بن موسى القارئ تحقيق د/حاتم صالح الضامن ط سلسلة خزانة دار صدام للمحفوظات وزارة الثقافة والإعلام العراق سنة١٩٨٨م.

٣٣- الوجوه والنظائر لألفاظ الكتاب العزيز لأبى عبد الله الحسين بن محمد الدامغانى ط المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية سنة ١٩٩٦م.

الحديث وعلومه:

١- التاريخ الكبير للإمام محمد بن إسماعيل البخارى ط دار الفكر.

٢- تخريج الحديث والآثار للزيلعى ط دار ابن خزيمة الرياض الأولى سنة١٤١٤ه .

٣- السلسلة الصحيحة محمد ناصر الدين الألبانى ط مكتبة المعارف الرياض.

٤- سنن الترمذىمحمد بن عيسى الترمذى ط دار إحياء التراث العربى.

٥- السنن الكبرى للبيهقى أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى طدار الفكر.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦- سنن النسائى الكبرى أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن التسائى ط دار الكتب العلمية الأولىسنة١٩٩١م.
٧- صحيح ابن حبان ط مؤسسة الرسالة.
٨- صحيح ابن خزيمة ط المكتب الإسلامى سنة ١٩٧٠م.
٩- صحيح البخارى أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى ط دار ابن كثير اليمامة الثالثة سنة ١٩٨٧م.
١٠- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمى ط دار الكتاب العربى سنة١٤٠٧ه.
١١- المستدرك على الصحيحين الحاكم ط دار الكتب العلمية سنة١٩٩٠م.
١٢- مسند أحمد الإمام أحمد ابن حنبل ط مؤسسة قرطبة.
١٣- المعجم الكبير للطبرانى ط مكتبة الزهراء الموصل الطبعة الثانية سنة١٩٨٣م.
١٤- الكافى الشاف فى تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر العسقلانى بذيل تفسير الكشاف للزمخشرى ط دار المعرفة بيروت.

اللغة والمعاجم والدواوين :

١- أدب الكاتب لابن قتيبة تحقيق محمد الدالى ط مؤسسة الرسالة.
٢- إعراب القرآن وبيانه محى الدين درويش ط دار اليمامة دمشق بيروت السادسة سنة١٩٩٩م.
٣- إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات لأبى البقاء العكبرى ط دار المكتبة العلمية لاهور باكستان تحقيق ابراهيم عطوة عوض.
٤- تاج العروس من جواهر القاموس محمد مرتضى الحسينى الزبيدى ط دار الهداية.
٥- التعريفات للجرجانى ط دار الكتاب العربى سنة ١٤٠٥ه.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٦- الجليس الصالح الكافى والأنيس الناصح الشافى لأبى الفرج المعافى بن زكريا تحقيق د/إحسان عباس ط عالم الكتب الأولى سنة١٩٨٧م.
٧- جمهرة اللغة لابن دريد ط دار العلم للملايين الأولى سنة١٩٨٧م.
٨- حروف المعانى لأبى إسحاق الزجاجى ط مؤسسة الرسالة بيروت الأولى سنة١٩٨٤م تحقيق على توفيق الحمد.
٩- الحيوان للجاحظ ط دار الحلبى.
١٠-ديوان امرئ القيس ط دار الكتب العلمية الخامسة سنة٢٠٠٤م.
١١-ديوان أمية بن أبى الصلت ط دار مكتبة الحياة بيروت لبنان.
١٢- ديوان جريرط دار بيروت للطباعة والنشر سنة١٩٨٦م.
١٣- ديوان العجاج ط منشورات دار الأفاق الجديدة الطبعة الثانية١٩٨٠م.
١٤- ديوان الفرزدق ط دار الكتب العلمية
١٥- ديوان النابغة الزبيانى ط دار المعرفة بيروت.
١٦- ديوان الهزليين ط دار الكتب المصرية القاهرة الطبعة الثانية .
١٧- شرح المفصل لابن يعيش تحقيق د/ إميل بديع يعقوب ط دار الكتب العلمية الأولى سنة٢٠٠١م.
١٨- الفروق اللغوية لأبى هلال العسكرى ط المكتبة التوفيقية تحقيق عماد زكى البار ونى.
١٩- قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ط الشركة العربية المتحدة للتوزيع القاهرة الحادية عشر سنة١٣٨٣ه تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.
٢٠- لسان العرب لابن منظور ط دار صادر.
٢١- مختار الصحاح لمحمد بن أبى بكر الرازى ط مكتبة لبنان ناشرون سنة١٩٩٥م.
٢٢-المصباح المنير للفيومى ط المكتبة العلمية.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٣- معجم ألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية ط الهيئة العامة للتأليف والنشر سنة١٩٧٠م.
٢٤- مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام تحقيق د/ عبد اللطيف الخطيب الطبعة الأولى الكويت سنة٢٠٠٠م
٢٥- المفردات فى غريب القرآن للراغب الأصفهانى ط دار المعرفة لبنان.
٢٦-المفضليات لأبى العباس المفضل الضبى ط مطبعة الآباء اليسوعيين بيروت سنة١٩٢٠م.

كتب الإعجاز العلمى والثقافة الإسلامية والمجلات:

١- الإعجاز العلمى للجبال فى القرآن الكريم د/ زغلول النجار ط مكتبة الشروق الدولية.
٢- الأعمال الكاملة محمد عبده ط دار الشروق.
٣- الله والعلم الحديث عبد الرزاق نوفل ط دار الشروق مكتبة الأسرة سنة١٩٨٨.
٤- جريدة الأهرام المصرية عدد٢٧أغسطس ٢٠٠١م.
٥- من الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم مع آيات الله فى السماء د/ حسن أبو العنين ط مكتبة العبيكان.
٦- من أيات الإعجاز العلمى فى القرآن الكريم د/ زغلول النجار ط مكتبة الشروق الدولية.
٧- من علم الفلك القرآنى د/ عدنان الشريف ط دار العلم للملايين الأولى سنة١٩٩١م.
٨- من علوم الأرض القرآنية د/عدنان الشريف ط دار العلم للملايين.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المظاهرات السلمية في الميزان الفقهي
دراسة مقارنة

الباحثة
أسماء فتحي علي السيد
مدرس الفقه المقارن
كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين القائل في محكم التنزيل ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران : ٢٦] وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان وإيمان إلى يوم الدين .

وبعد ،،،،،،،،

فإن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من سمات هذه الأمة قال تعالى ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (آل عمران : ١١٠) وهذا الحق له طرق ووسائل توصل إليه منها ما نص الشارع عليها ، ومنها ما لم ينص على اعتبارها ولا عدمها، وكان من بين هذه الوسائل غير المنصوص عليها (المظاهرات السلمية) وقد وقعت إشكالية التكييف الفقهي لهذه المسألة بين مجوز لهذا العمل ، وبين محرم لخوف من الفتنة.

ومن كمال الشريعة الإسلامية أن النصوص محيطة بأحكام الحوادث ، فما من حادثة تحدث ولا نازلة تنزل بالمسلمين إلا وفيما أنزل الله على رسوله ﷺ من الوحي ما يكشف عنها ويبين حكمها قال تعالى {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} العنكبوت : ٥١

ولما لدراسة هذا البحث من أهمية في الوقت الراهن لذا رأيت مستعينة بالله – عز وجل – أن أكتب في الموضوع للوقوف على حكمه ، وقد عنونت له باسم (المظاهرات السلمية في الميزان الفقهي) دراسة مقارنة .

وقد سلكت في هذا البحث منهج المقارنة بين الأقوال، مرجحة ما قويت حجته واتضحت دلالته ، غير متعصبة لقول قائل ولا مذهب إمام، وقد

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner